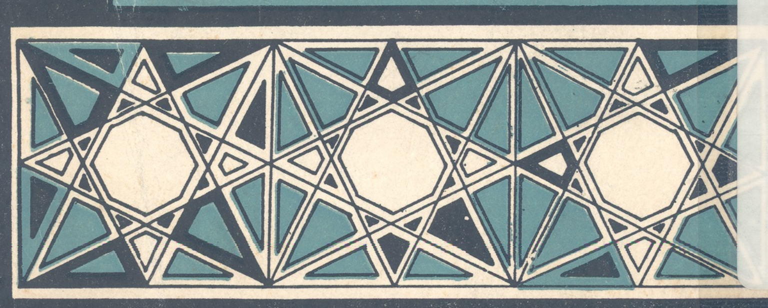
١٦ يونيه سنة ١٩٦٧

المكتبة الثقافية
(جامعة حرة)
١٧٧

الرسول في القرآن

محمود بن الشريف



دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
الثمن ٣ قروش

المكتبة الثقافية

(جامعة حرة)

١٧٧

الرسول في القرآن

تأليف

محمود بن الشريف

باشراف

الدكتور شكري محمد عيّاد

وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

« قرآن كريم »

انما أنا رحمة مهداة

(حديث شريف)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

فى الصفحات التالية حديث الله عن رسول الله ··
وحديث القرآن الى من نزل عليه القرآن ·

والقرآن الكريم كله حديث لمحمد ·· وعن محمد ··
وعن صقله وتربيته ، وتوجيهــه واعداده ، ودعــوته ،
ورسالته ، وما نزل عليه ، وما دعا الناس اليه ·

من أجـل ذلك كان الحديث عن الرسول فى القرآن
انما هو حديث عن القرآن كله ·· وعن كل ما يحفـل به
وما تعرض له · ثم هو بالتالى حديث عن الاسلام وعقيدته
وشريعته ومفاهيمه ·

فلا غرو أن كان الحديث حافلا فياضا تقصر الطاقة
عن جمعه والاحاطة به اذ هو متعدد متشعب يحتــاج الى
طاقات مجتمعة ·· طاقات عالمة عارفة متخصصة متعمقة ،
لتجلو مناحى الحديث وزواياه ، وتكشف ، فى صدق وحق
وعمق ، عن أقطاره ونواحيه ·

لذا كان فوق الطاقة أن يتناول متناول حديث القرآن
عن محمد بشمول وافاضة وآحاطة ·

فلا جرم أن كان قصارانا فى الصفحات القادمة أن نثبت فيها ومضات مشرقة من هــذا الحديث الالهى ، ونسجل انطباعات وشرائح وقطاعات ، لا نقول انها كل ما فى القرآن من حديث عن رسول الله ٠٠ ولا نقول انها جامعة مانعة ، بل هى ومضات نيرة من حديث القرآن على من نزل عليه القرآن ، ونفحات الهية مشرقة من كلام الله الى من صقله الله ورباه ، واجتباه واصطفاه وبعثه للعالمين رحمة مهداة ٠

والله الموفق وهو المعين ٠

محمود بن الشريف

وإنك لعلى خلق عظيم (١)

كان محمد ، صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى المجسم لتعـــاليم الدعوة ومفــاهيم القرآن وأقضية الدين ، كان أخلاقا ٠٠ وسلوكا ٠٠ ومنهجا ، ليقتدى به فى الاخلاق والسلوك والمنهـــج « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» (٢)**

كان التطبيق العملى للدعوة كان السلوك الالهى الذى لا يميل ولا يحيد «كان صلوات الله وسلامه عليه فى جميع أحواله : حركة وسكونا ، اشارة ونطقا ، قلبا وقالبا يمثل القرآن الكريم، وقد كان صلوات الله عليه تطبيقا للقرآن، لقد لبس القرآن ظاهرا وباطنا ، لقد « **تقرأن** » اذا أمكن هذا التعبير ، أو بتعبير آخر :

لقد كان قرآنا ، ولقد وصفته السيدة عائشة ، رضى الله عنها ، وصفا دقيقــا حينما سئلت عن خلقه ، فقالت « **كان خلقه القرآن** » ومن كان خلقه القرآن كان أسوة ، وكان قدوة ، وكان على خلق عظيم ، ومن هنا وصفه الله سبحانه بقوله « **وانك لعلى خلق عظيم** » **(٣)**

---

(١) آية ٤ من سورة القلم (٢) آية ٢١ من سورة الاحزاب

(٣) ص ٥ من مقدمة كتاب « الرسول لمحات من حياته ونفحات من هديه للدكتور عبد الحليم محمود

اقــــرأ

وساطة بين الله ورسله ، قد تكون عن طريق ملك، أو الهام ، أو رؤيا منامية ، أو كلام من وراء حجاب. وذلك هو وحى الله الى أنبيــائه ورسله « **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده** » (١) .

وكان أول الوحى ومشرق النور على سيدنا محمد صلى الله عليــه وســلم هو قول الله : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** » .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « أتانى جبريل، فى غار حراء ، وأنا نائم بنمط من ديبــاج (حرير) فيــه كتاب ، فقـــال : اقرأ .. قلت : ما أقرأ !! قال : فغتنى (ضغطنى وعصرنى) حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى (تركنى) فقال : اقرأ .. قلت : ما أقرأ !! فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ .. قلت : ما أقرأ ، فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ .. قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك الا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى

---

(١) آية ٢ من سورة النحل

علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم • « •• فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عنى ، وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا•• فخرجت حتىاذا كنت فى وسط الجبل، سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل ، فرفعت رأسى الى السماء أنظر ، فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول :يامحمد، أنت رسول الله وأنا جبريل •• فوقفت أنظر اليـــه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحيـــة الا رأيته كذلك ، فمازلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى ، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا اليهـا ، وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى ، وانصرفت راجعـا الى أهلى » •

« نزل الوحى كجذوة وهاجة بددت من نفس محمد كل شك ، وأشعلت فيها تلك الآمال اللاشعورية ، وتلك القوى الكامنة التى كدسـها فى نفس خمس عشرة سـنة تقضت فى التأمل والتحنث ، لقـد فتح الوحى عينيه على آفاق شاسعة ، وأظهره على ما يجب أن يقوم به نحو تلك الرسالة من جهود جبارة خطرة » (١) •

وكانت « اقرأ » تلك الكلمة الربانية بما تحمل من هدى ونور ومعرفة ومضمون كانت جماع الدعوة الاسلامية

---

(١) من ص ١٤٠ من كتاب محمد رسول الله •

ومفتاح العقيدة الموصلة الى النور « **الله نور السموات والأرض** » والى الحق « **والله هو الحق المبين** » ٠

« على أن : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » حينما تقيد العلم والثقافة بأن يكونا : باسم الله وحينما تصبغ دراسة الكون بصبغة التوجه الى الله ، فانما تضعنا مباشرة أمام توجيه الهى سافر ، لا لبس فيه ، يرشدنا الى وجوب اعطاء جميع الاعمال التى نقوم بها صورة العبادة: ذلك أن ما كان باسم الله ، فهو عبادة ٠

وان « **اقرأ باسم ربك** » تنص على أن القراءة لاتكون باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة اقليمية ، ولا باسم غاية مادية أيا كانت، ولا باسم وطن أو بيئة ، وانما هى : باسم الله ، واذا كانت باسم الله فانها تفيد باعتباره فردا ، وتفيد المجتمع الذى نسميه : وطنا ، وتفيد المجتمع الاسلامى ، بل وتفيد الانسانية جمعاء ٠٠ واذا ما تجردت القراءة لله تعالى ، وكان هدفها الأول والأخير هو « الله » مصدر الخير والنور كانت : خيرا ، وكانت نورا فى جميع الأرجاء ، وفى جميع الأزمان ٠

وما كان القرآن الكريم يقصد قط بهذه الكلمة الأولى، القراءة وحسب ، وانما كانت رمزا لكل ما يأتيه الانسان فى الجانب الايجابى ، وكل ما يدعه الانسان فى الجانب السلبى ٠

ان هذه الكلمة الأولى ، تريد أن تقول : اقرأ باسم ربك ٠٠ تحرك باسم ربك ٠٠ تكلم باسم ربك ٠٠ اعمل

باسم ربك .. أما اذا امتنعت عن حركة أو فعل ، فينبغى أن يكون ذلك أيضا باسم ربك ، ويكون معنى الآية فى النهاية : جرد حياتك كلها وكيانك كله : أسبابا وغايات لله سبحانه وتعالى (١) » .

ثم توالى الاعداد الالهى للرسول بعد البعثة ..

وقد كان هنـاك اعداد الهى لمحمـد ، وهو جنين فى بطن أمه حيث نسل من أشرف أبوين ومن أطهر سلالة . كذلك كان هنـاك اعداد الهى لمحمد ، وهو فى طفولتـه ويفوعته ، وهو فى شبابه ورجولته ، وقبل الرسالة وبعد الرسالة .. لم تفتر العناية الالهية عن ملاحظة الرسول وتعهده ورعايته فى جميع مراحل حياته ، فكانت «الرعاية» وكانت « الرسالة » وكانت « العصمة » وكان « الوحى » .

وقد سجل القرآن ظاهرة لازمت الرسول حينا عند نزول الوحى دلت على أمانة محمد وتحريه الصدق ودقته فى التبليغ وحرصه على سلامة التعـاليم ، فمحمد عليه السلام عنـدما كان ينزل عليـه وحى ربه كان يقرأ .. ويقرأ ويعيد ويكرر ما أنزل عليـه ويجهد لسانه وعقـله وحافظته وذاكرته ويردد ما أوحى اليه بقلبه وكيانه كله حتى لا ينساه ، وكانت الخشية تدفعه أحيانا الى أن يردد الآيات قبل ان يتكامل نزولها عليه في شفقة وفى حرص ،

---

(١) ص ٨ من مقدمة كتاب الرسالة القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف

لذا كان هـذا التنبيه الالهى للنبى فى صـورة النهى عن الاســتعجال فى تلاوة ما أوحى الله به اليــه « **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه** » (١) « **لاتحرك به لسانك لتعجــل به انا علينــا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه** » (٢) .

وفى هذا التنبيه الالهى ما فيه من شدة حرص محمد على الوحى وأمانته فى أن يقدم لامته تعاليم ربه كما بلغت اليه فى صورتها الأصلية ، الأصيلة الحقة الدقيقة الكاملة المتكاملة .

وفيه تطمين الهى بأن يشفق على نفسه ، فليس عليه الا التبليغ وعلى الله بيان القرآن وجمعه وحفظه « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » (٣) « **انا علينا جمعــه وقرآنه** » .

---

(١) آية ١١٤ سورة طه — (٢) آية ١٦ من سورة القيامة

(٣) آية ٩ من سورة الحجر .

قــــمْ

ثم نزل قول الله « **يأيها المزمل قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا، او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا، انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، ان ناشئة الليـل هى اشد وطأ وأقوم قيـلا ، ان لك فى النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل اليـه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ..** » .

فى هدأة الليـل وسكونه .. فى تلك اللحظات التى تكون فيها النفس مستعدة للتلقى وللاشراق .. يأمر الله نبيـه أن ينقطع فيهـا للمناجاة وللذكر وللتسبيح : قم الليل ،رتل القرآن، اذكر اسم ربك ، تبتل اليه.. وتلك هى ركائز الاعداد النفسى والصـقل الروحى لتقوى نفس محمد على تحمل تبعات الرسالة وتكاليفها ، وما أشقها ..

ثم كانـت فترة .. فترة زمنيـة بعـد نزول تلك الأوامر الالهية السالفة ، كانت بمثابة اعداد وتهيئة لاجواء تفرخ فيها الدعوة وتنتج ، وتنتقل من طور الى طور ، من طور السرية الى طور الجهر والعـلانية .. فى تلك الفترة الاعدادية لم ينزل الوحى على محمد « **والضحى ، والليـل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى** » حقا ان محمدا كان ينتظر مدد الاله وعون الرب ووحى السـماء ليأخذ بيـده وبيد

أصـــحابه فى تلك الفترة الأولى من عمر الدعوة ، الا أن الرسول لم يقلق بهذه الصورة التى صوره بها بعض المؤرخين من المغـالين وممن نهج نهجهم ٠٠ لم يقلق بتلك الـكيفية التى زعموا ان الرســول كان عليها من الانزعاج والسير على غير هدى فى شعاب مكه ، حتى لقد تغالى البعض فزعم أن الرسول شعر بأنه لم يعد معضدا بالهام الله !! وانه من شدة شوقه الى الوحى فكر فى أن يقـــذف بنفسه من ارتفاع شاهق وأن ينتحر ، وما كان للداعية الذى صنعه الله أن يلجأ الى ما يخالف تعاليم الله والى ما يغضب الله من ازهاق نفس أو وأد روح ٠ على أن الذى يتتبع مســار آيات سورة الضحى يرى بعــد تأمل وامعان أنها من قبيل الارشادات الالهية والبشـــارات ٠ ومن قبيل التثبيت والتطمين للرســول ، فالرســول لم يلح أن ينزل الوحى عليه ، فما الوحى الا من عند الله وبارادة الله ٠

أنـــذر

بعد مرحلة الاعداد والتهيئة الروحية أوحى الله الى رسـوله أن تنتقل الدعوة ـ بعـد أن كتب لهـا التثبيت والتمكين فى نفوس الرواد الاوائل المسلمين ، وبعـد أن أسلم من أسلم فى مدى هذه السنوات الثلاث التى سرت فيها الدعوة فى مجال معين واطار خاص ـ أوحى الله الى رسوله أن تنتقل الدعوة الى مرحلة العلانية والاظهـار ، وأن يجهر بها ويعلنها فى العالمين دعوة عامة شاملة باقية ثابتة الى يوم الدين • « **يأيها المدثر قم فأنذر** •• » ومعنى المدثر هنا : أى : الداعية الذى يدعو فى الخفاء ومن وراء ستار ودثار •• يامن جمعت التعاليم ودثرتها فى نطاق معروف وحيز محدود ، قم فأنذر ، انهض وانشر الدعوة وبشر من يتبعك وانذر من يناهضك •

ومن عجب أن يدعى البعض أن الرسول كان متدثرا وملتفا بعباءته حينمـا نزل قول الله تعالى : « **يأيها المدثر قم فأنذر** » • وقد كان أكثر أقارب النبى، كما كان أعمامه جميعا ، فى بدء الدعوة على دين الجاهلية •

مات عمه وحاميـه أبو طالب وهو مقيم على معتقده الجاهلى الخاطىء •

وعمه العبـاس ظل على شركه واشراكه الى ما بعـد هجرة الرسول الى المدينة •

وعمه أبو لهب أعماه التعصب الديني حتى صار أعدى عدو للنبي .

وأم جميل امرأة عمه أبي لهب كانت تحمل « في صدرها من الضغن على رسول الله أضعاف ما كان يحمل زوجها ، وكان دأبها أن تثير الفتن بينه وبين عشيرته ، وأن تسعى لدى القوم بالنميمة لتفسد عليه قلوبهم ، حتى وصفها الله أشنع وصف فسماها « حمالة الحطب » وهي صفة النمامة الواشية التي تشعل نار الفتن بين الناس فتحرق ما بينهم من صلات الود والتراحم ، وهبط بها الى أسفل درك حين صورها في صورة الحطابة التي لا تكاد تمشي الا و « في جيدها حبل من مسد » تلم فيه الحطب من هنا ومن هناك ثم تحمله الى كوخها لتشعل به نارها .
والحق أن أم جميل أشد عداوة للرسول من زوجها أبي لهب فلم يكن يكفيها ما تثيره من الفتن بينه وبين قومه ، بل كانت تعمل دائبة على تحقيره وامتهانه ، وكانت تعيره بالفقر حينا وبموت البنين حينا ، وحينا تضع في طريقه الشوك والقذر ، وحينا تقرض في ذمه الشعر وتتغنى به في مجالسها وقد بلغ من عداوتها وحقدها على الرسول انها لم تكن تنطق باسمه قط ولم تكن تدعوه الا « مذمما » (١) .

---

(١) ص ١٤٢ من كتاب صور من حياة الرسول للدويدار .

وعمه حمزه فقــد ظل كذلك متمسكا بدين الجاهلية بضع سنين ٠

ونزل قول الله : « **وأنذر عشــيرتك الأقــربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون** » (١) ولم يلبث الرسول أن ذهب الى جبل «الصفا» فصعد عليه وأخذ يصيح: « ياصباحاه!! يا صباحاه!! » وكان ذلك الصياح عند العرب يومئذ نذير أمر هام أو خطب ملم ـ واجتمعت قـريش حوله فقال : « ارأيتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ » قالوا : نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليـك كذبا قط ، قال : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد!! يابنى عبد المطلب ٠٠ يابنى عبد مناف ٠٠ يا بنى زهرة ، يا بنى تيم ٠٠ يا بنى مخزوم ، يا بنى أسد ، ان الله أمرنى أن أنذر عشــيرتى الأقربين ، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا : لا اله الا الله ٠٠ يا معشر قريش، انقذوا أنفسكم من النار ، فانى لا أغنى عنكم من الله شـيئا ٠٠ ان مثلى ومثلـكم كمثل رجـل رأى العــدو فانطلق يريد أهله أن يسبقوه اليهم فجعل يهتف : يا صباحاه ! يا صباحاه ! أتيتم أتيتم! » فقاطعه أبو لهب : « تبا لك ألهذا جمعتنا ؟»

---

(١) الآيات : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ من سورة الشعراء ٠

وأخذ يدعو المجتمعـين للانصراف فنزل قول الله : « **تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب** » .

« على أن هذه الصيحة لم تذهب سدى ، فقد شاع حديث الدعوة في مكة منذ ذلك اليوم ، وتحدث الناس به في مجالسهم وأنديتهم ، وجعلت نفوس أهل مكة تتهيأ لهذا الأمر ، فأخذوا يتساءلون فيما بينهم : ما هذا الذى يدعو اليه محمـد ؟ « فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » فأما الذين كتب لهم السـعادة فقد جعلوا يتسللون تباعا الى رسول الله ، يستوضحونه أمر هـذا الدين الذى يدعو اليه ، فيشرحه لهم ، فيسلمون .. وأما الذين كتـب عليهم الشقاء فقـد أعرضوا عنهـا ، وعميت بصائرهم أن تستضيء بنورها ، وكانوا في ذلك فريقين : فريق وقف منها موقف الموادعة والمسالمة ، فلم يقاومها ولم يعرض لها بسوء ، وفريق وقف منها موقف العداء والمحاربة، فجعلوا وكدهم أن يقاوموها وأن يقضوا عليها ، وكان جل هؤلاء ـ بل كلهم ـ من الزعمـاء والسـادة الذين رأوا في هذه الدعوة قضـاء على سيادتهم ، وخطرا على مصالحهم ، وكان أشـدهم عداوة وأعنفهـم حربا للرسـول ودعوته أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، وعقبة ابن أبي معيط ، وقد كان الأخيران جارين للنبي يؤذيانه أشد الاذى ، وفي ذلك يقول صلى الله وسلم ـ فيما روت عائشة ـ : « كنت بين شر جارين : بين أبي لهب ، وعقبة

ابن أبي معيــط ، ان كانا ليأتيـــان « بالفروث » (١) فيطرحانها على بابي ، حتى انهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الاذى ، فيطرحونه على بابي ، فيخرج به صلى الله عليه وسلم فيقول : يا بني عبد منــاف ، أي جوار هذا ؟٠ ثم يلقيه في الطريق » (٢) ٠

---

(١) الفروث : ما يخرج من كرش الذبيحة ٠

(٢) من ص ١٤٥ من كتاب صور من حياة الرسول ٠

اصـــبر

وما كان طريق الدعوة الا مملوءا صعابا وقلاقل ..
كيف لا ؟ وهو يتطلب من الذين فاءوا الى ظلاله أن يغيروا معتقداتهم وينضوا عنهم ما توارثوه من رواسب وتقاليد..

وواجه محمدا معارضون .. ومكذبون ، بل ومعتدون آثمون ، لجأوا الى طريق القوة ..

والحق فى مبـدء أمره تحجبه أوهام الأباطيـل ، ثم ما تلبث شمسه فى السطوع مبددة السـحب والضباب موضحة الرؤية ..

ويسير الوحى الالهى يكلأ الدعوة والداعية .. يهدى ويرشد ويوجه .. وتتوالى توجيهاته وارشاداته .. وهذه شحنة من ايمان يلقيها الوحى على محمد وفى قلب محمد ليصمد ويثبت .. يصمد فى ميـدان الدعوة ويثبت أمام تكذيب قومه ، ويتسلح بالصبر ليصل فى النهـاية الى النصر .

« فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصـاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ، لولا أن تداركه نعمـة من ربه لنبـذ بالعراء وهو مذموم ، فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (١) »
« فاصبر على ما يقـولون وسبح بحمـد ربك قبل طلوع

---

(١) آية ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ من سورة القلم .

الشمس وقبل الغروب » (١) « قل يأيها النـــــاس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتـدى فانما يهتـدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (٢)» « فاصبر ان وعد الله حق » (٣) « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (٤) « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا» « واصبر وما صبرك الا بالله » (٥) •

وتتوالى الارشادات الالهية على محمد تبين له الطريق وتعينه، وتكشف له عن خوالج ونفسيات وحالات ومواقف **« فلا تطع المـكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم •• » (٦) •**

« واصـــبر على ما يقولون واهجـرهم هجرا جميــلا وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا » (٧) •

أمر الهى للرســول بالصبر على مزاعـم المـكذبين ومنـــاوراتهم ثم هداية له وتبيـــان : صبر ، وهجر وذلك الهجر لا يكون هجرا قاسيا صارما لا رجعة فيه ، لا ، ان ذلك ينفر الناس ويبعدهم عن الدعوة والداعية ، بل هجر « جميل » يتسق مع مهمة الهادى المرشد •

---

(١) آية ٣٩ من سورة ق
(٢) آية ١٠٨ من سورة يونس
(٣) آية ٥٥ من سورة غافر
(٤) آية ٣٥ من سورة الاحقاف
(٥) آية ١٢٧ من سورة النحل
(٦) آية ٩ من سورة القلم
(٧) آية ١٠ من سورة المزمل

ورسول الله لاقي في سبيل نشر رسالة ربه ألوانا من السخرية والاستهزاء ، والنفس ظد تنحرف أو تنحدر أو تخور وتستسلم عندما تجابهها شدة أو أزمة نفسية أو سخرية قاسية أو استهزاء مرير ٠

وآنئذ تظهر مهمة المربى الذى يحصن النفس من أن تندفع الى مهاوى اليأس فيقويها بتوجيهه ويربيها ويهديها الى الصمود والثبـات والصبر ، ولكى يحصن الله نفس رسوله محمد يعرض عليه ألوانا من مواقف عدة جابهت من سـبقه من رسل الله ويعرض عليـه موقف المعاندين ومسلكهم : من التكذيب والتعذيب والاستهزاء والسخرية من كل رسول يرسله الله اليهم ٠٠

والقرآن يعرض على رسول الله تلك الشرائع ويقص ما لاقاه الرسل من قبله من العنت والشدة ومن المؤامرات والسـخريات ، ليثبت محمد كما ثبت زملاؤه من قبل ، وليصمد كما صمدوا ٠٠ « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك (١) » ويبين له الطريق الذى سلكه الأنبياء من قبل حيال مكذبيهم ليسلكه : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصـــبروا على ماكذبوا (٢) » فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين (٣)

---

(١) آية ١٢٠ من سورة هود ٠

(٢) آية ٣٤ من سورة الانعام ٠

(٣) آية ٩٤ من سورة الحجر ٠

ويثبت الله جنان الداعية ويحيطه خبرا بكل مقالات المكذبين ومنطقهم ودعاواهم وأوهامهم ، وها هو ذا القرآن يعرض على محمد أقاويلهم : « وقالوا ما لهذا الرســـول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق» كما يعرض عليه الاجابة الالهية : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق » « وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالهـا تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » (١) « **قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين » (٢) ٠**

ولابد للعنت والتكذيب والممـاراة من أن تشق على النفس وتعمق فيها أخاديد غائرة تحز وتؤلم ، فلا عجب بعد أن انتابت قلب محمد نوبات من حزن وألم نفسى من جراء هؤلاء السلبيين الذين نأوا وأعرضوا وهو الحريص على هدايتهم ، ومن جراء المكذبين والمناوئين ــ وما كان أكثرهم فى مستهل الدعوة ٠

---

(١) آيات من ٩٠ : ٩٣ من سورة الاسراء ٠

(٢) آية ٩ من سورة الأحقاف

والقرآن يسلي محمدا ويقول له « **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ، ان نشـأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** » (١) « **فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** » (٢) « **ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون** » (٣) « **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقـــولون** » (٤) « **قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهـم لا يكذبونك ولـكن الظـالمين بآيات الله يجحدون** » (٥) « **ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم** » (٦) ٠

وكان من الطبيعي أن يدعو القرآن محمدا الى سلاح يتسلح به تجاه أعداء الدعوة ٠٠ سلاح فيه البشارة وفيه تطمين لفؤاد الداعية ٠٠ سلاح الصبر ، الصبر يتسلح به محمد حتى يتغلب على اليأس ان انتابه يأس ، ويتغلب على القلق ان جرفه تيـــار القلق الى أودية بعيـــدة من الفتور والسلبية أو القعود والنـكوص ٠٠ الصبر الايجـابى ٠٠ البعيد عن التخاذل والتواكل والاستسلام « **فاصبر لحـكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين** » (٧) ٠

---

(١) آية ٤ من سورة الشعراء
(٢) آية ٧٦ من سورة يس
(٣) آية ١٢٧ من سورة النحل
(٤) آية ٩٧ من سورة الحجر
(٥) آية ٣٣ من سورة الأنعام
(٦) آية ٦٥ من سورة يونس
(٧) آية ٤٨ من سورة القلم

يسألونكَ .. قل

النبى داعية يدعو الىسبيل موصل الى هدف، ويدعو الى وسائل تسلم الى غايات ، وينشر مفاهيم جديدة مناهضة لجو الشرك والجهالة والوثنية ، فلم يكن بدعا أن يتطلع اليه طالبو الحقيقة : يسألون ويستفسرون ، ولم يكن بدعا كذلك أن يسعى اليه الجاحدون والجامدون يسألون ويتحدون ·· ويتحداه شانئوه بأسئلتهم · يبغون تعجيزه ، لينفذوا من هذا التعجيز الى النيل من دعوته والتشكيك فيه وفيها ·

ويسأله أصحابه ·· ويسأله أعداؤه ، يسألونه عن دقائق وعوالم وحيوات ، يسألونه عن ظواهر الطبيعة ومظاهر الكون والفلك ، يسألونه عن مناحى اجتماعية، وعن شئون الحرب والاسلاب والغنائم والانفال يسألونه عن مشكلات ومستحدثات طرأت على دنياهم ومجتمعهم ·· وهم ما بين مستفتينشدالحق ويستشرف المعرفة ويبغى العلم لوجه الله والعلم ، وما بين مكابر ومجادل لا يريد الا المكابرة واللجاج ، والنبى أمى ·· لم يقرأ كتابا ولم يخط حرفا ولم يجلس بين يدى ملقن··ولم ير الا جو الصحراء: جو الرمال والخيام ·· جو البداوة والبدائية الانسانية ، جوا لم ترفهه المدنية ولم تسعده المبتكرات ، فلم يسمع

أزيز طائرة ، ولم ينعم بقوى الكهرباء ·· ويتلقى الرسول أسئلة السائلين ·· ويتلقى من ربه الاجابة عنها ، « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح » « يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل انما عملها عند الله » « يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول » « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ·

فلا عجب بعد أن تحدث البدوى القديم بلغة المدينة الحديثة فأخبر عن كل ما سئل عنه ·· وروى ما اثبت التاريخ صدقه ، وكشف الأمى عن آفاق ما زالت الى الآن تعجز المنقطعين لها وتعز على المتخصصين فيها ·

لاتحــــزن

ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ،

« لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين • وقل انى أنا النذير المبين (١) » •

تربية الهية :

للباطل صولة ، وله موكب فيه كل مخاتل مخادع ، وللباطل مظهر يقوم على التسلط ، وهالة تحوطه وتظهره كأنه القوة كل القـوة والثراء كل الثراء وأنه النعيم الذى لا يفنى والجاه الذى لايبيد ، وغالبا ما يعشى سناؤه الأعين، وغالبا مايبهر ضياؤه القلوب فتذعن للألآئه الكاذب ولبريقه السام •

وتمتد الأعين مأخوذة مبهـــورة •• وتمتد الاعنـاق متطلعة •• خاضعة مستسلمة ••

واقتضت التربية الالهية لمحمـد أن ينبهه مولاه الى الخطر الكامن وراء هذا المظهر الخداع •• وأن يحذره من هذه القوة الضعيفة ومن هذا المتـــاع الكاذب فقال له : **ولا تمدن عينيك متطلعا فى اعجاب ونشوة الى ما متعنا به**

---

(١) آية ٨٨ ، ٨٩ من سورة الحجر

أصنافا من أهل الكفر ، وما أفضنا عليهم من مهابة ومكانة، وما أفأنا عليهم من سلطان وزخرف ومتاع ولا تتأزم نفسك بهذا البهرج ، فأنت الأعز الأقوى ، لما حبوناك به ولما منحناك اياه : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (١) ، لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ، ولا تحزن عليهم » .

وتلك الصولة الباطلة ، وهذا المال والمتاع والزخرف غالبا ما يدفع بصاحبه الى الجحود والى العناد والتكبر ، والترفع عن أن ينخرط مع سائر المؤمنين فيما آمنوا به .. وينأى بركنه ، ويعرض ، لذا أعرض أصحاب الثراء ــ ومعهم أتباعهم ــ عن الاستماع الى محمد ، وحتى لا يؤثر اعراض هؤلاء وتكبرهم على الرسول ، حماه الله وصان نفسيتهفقال : **«ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر(٢)» يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر (٣) » لا تأس عليهم يا محمد حينما يصمون آذانهم عنالاستماع الى دعوتك « ولا يحزنك قولهم ، ان العزة لله جميعا (٤)«ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا (٥)» « فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٦) »** وحسبك اصحابك واتباعك المؤمنين ، فاخفض جناحك لهم

---

(١) آية ٨٧ من سورة الحجر
(٢) آية ١٧٦ من سورة آل عمران
(٣) آية ٤١ من سورة المائدة
(٤) آية ٦٥ من سورة يونس
(٥) آية ٢٣ من سورة لقمان
(٦) آية ٧٦ من سورة يس

وعاملهم برفق ولين ، فما كتب لدعـــوة نجـاح وصاحبها مستبد متسيطر ، وما كتب النجـــاح الا لداعية رحيم : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله**(١) » •

ان الله صنع محمدا واصطفاه ورباه ، وان شمائله الرقيقة وصفاته المثالية أجملهـا التعبير القرآنى فى قوله « لنت » لم يلينوا هم لك رغبة أو رهبة ، وانما انت الذى لنت لهم بسبب رحمة من الله ، ومن عمته رحمة الله كان رحيما بعباد الله ، وكيف لا ؟ وهو المبعوث رحمة للعالمين «**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**(٢)» والرسول يقول : «انما انا رحمة مهداة» **فاعف عنهم**: وهكذا صاحب النفس الكبيرة والقلب الرحيم الرحيب يعفو ويصفو وبالعفو يرتد الجانح ويلين الجـــامح • **واستغفر لهم** : أما من أقام على ضلاله وسدر فى غوايته وتاه فى تيهه فاطلب له من الغفور المغفرة ليعود بفضلها الى حظيرة الايمـان • **وشاورهم فى الامر** : فاذا ما حزبك أمر أو جد فى دنياكم ما يشغلكم ويهمكم ولا تدرون وجه الصواب فيه ولم يكن فيه أمر منزل أو حكم مقضى مبرم ، فالشـورى ، وهى خلاصة الآراء مجتمعة ، فيها الحل الأسلم الأصوب •

---

(١) آية ١٥٩ من سورة آل عمران (٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء

إسراء .. ولقاء

(١)فى حياة الرسول ظواهر الهية ، أوجدها الله . ليختبر بها القلوب ، ويمحص بها الأفئدة ، ويصهر بها ايمان المؤمن فيزداد ايمانا ، ويكشف بها من كان واهن الايمان واهى العقيدة ، فيبعده عن شريعته السمحة ورحمته الرحيمة .

والاسراء والمعراج ظاهرتان الهيتان ، وقعتا والمجتمع الاسلامى وليد ، والعقل العربى لم يصقل بالمعارف ، ولم تهيئه المخترعات العلمية لأن يؤمن بهاتيك الظواهر ايمانا لا يتطرق اليه ريب ، لذلك ارتاب بعض من أسلم عندما سمع حديث الاسراء والمعراج .. وصبأ .. وارتد .. وآض الى وثنيته ووأد صيحات الايمان فى أعماقه ، وآمن بصوت العقل .. عقله العاجز القاصر الذى استبعد حدوث الاسراء والمعراج ، وأمن على قولة أبى جهل المخزومى الذى سار فى طرقات مكه يصيح بأعلى صوته :

يا معشر قريش ، أصيخوا أسماعكم ، لتسمعوا أعجب نبأ طلع به علينا محمد ، انه يزعم انه أسرى به الليلة الماضية من المسجد الحرام بمكة الى بيت المقدس ثم

---

(١) من مقال للمؤلف عنوانه « اللقاء بين الله ومحمد » منشور بجريدة الاهرام فى ٢٦-١-١٩٦٠

رجع فى نفس الليلة!! ان هذه الرحلة تستغرق منا شهرين فى الذهاب والعودة ، ومحمد يزعم انه قطعها فى لحظات !

أما ذوو العقيدة المكينة المتينة ، والايمـــان القوى القويم فقد آمنوا فى قوة ويقين بكل ما أخبر به محمد الذى لا ينطق عن الهوى : ظهر ذلك الايمان من أبى بكر عندما رد فى ثبات واصرار على صيحات المخزومى قائلا : ان كان محمد قال ذلك فوالله لقد صدق فى مقالته ، وكيف لا ؟ وما عهدنا عليه كذبا فى الجاهلية والاسلام .

وانطلق أبو بكر متوجها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، الذى كان حوله المشركون والمسلمون يسمعون منه أنباء رحلته التى بدأت عندما كان نائما بجوار الكعبة، فجاءه جبريل ، فأيقظه ثم قال له : تقدم يامحمد ، واركب.

ونظر الرســـول فوجد دابة عجيبة غريبة ، انهـا «صاروخ الهى» لها جناحان كبيران لترتفع بهما فى الهواء، وتشق بهما طبقات الفضاء ، وركب الرسول « البراق » وسار بجانبه جبريل متوجهين الى «بيت المقدس» .

وعرف محمـــد من جبريل أنهمـا فى طريقهما الى رحلتين الهيتين : رحلة فى الارض ، من مكة الى الشـــام ، ورحلة فى السماء من الشام الى لقاء الله .

ولـمـــا فرغ الرسول من زيارة بيت المقـدس بدأت رحلتهما الثانية الى السماء ..

ورأى الرسول معراجا « سلما الهيا » أعد ليرتفع بهما الى السموات ..

وفي كل سماء كان محمد يرى عجبا .. رأى صورا لحساب المذنبين ومعاقبة المجرمين يوم القيامة ..

ورأى نماذج أخرى لما أعده الله - في هذا اليوم أيضا - من نعيم لعباده المتقين ، ثم صعد جبريل بالرسول الى ما بعد السماء السابعة حتى وصلا مكانا به « سدرة المنتهى » وعندها رأى الرسول من المشاهد والآيات الالهية مالا يمكن وصفه .. ورأى جبريل تتغير هيئته فجأة ، ويظهر على حقيقته التى خلقها الله عليه ، وقال لمحمد معتذرا : لا أستطيع أن أرافقك يامحمد ، فالى هنا وينتهى صعودى معك ، ولو تقدمت خطوة بعد ذلك لاحترقت ولكل منا مقام معلوم ومكان لا يتخطاه ، فتقدم أنت .

وتقدم محمد .. واتجه وحده للقاء ربه ، ولما شاهد نور ربه قال : التحيات لله والصلوات الطيبات .. فرد الله عليه : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

وردت الملائكة : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وظل محمد يناجى ربه، ويتوجه اليه بالدعاء والثناء.

ولما انتهى اللقاء هبط رسول الله الى بيت المقدس ، وهبط معه الانبياء تكريما له وتعظيما ..

ثم ركب «البراق» وقد عاد الى مكة وقد بدأ الظلام يجمع ظلاله ويخفى سواده .. ثم نشر الضياء خيوطه

وأنواره ، وبدأت معه الحياة تدب فى نواحى مكة وأرجائها

ولما انتهى الرسول من حديثه لمن حوله عن رحلتيه ، وما لقى فيهما من عجائب وغرائب ، قال بعض المشركين الذين كانوا قد ذهبوا الى بلاد الشام فى التجارة ورأوا «بيت المقدس» أكثر من مرة مريدين اعجاز النبى :

ان كنت رأيت بيت المقدس بالامس فصفه لنا ، فنحن أدرى الناس به ، وبما فيه ٠

ولكى يصف النبى لهم البيت وصفا دقيقا وضع الله أمام عينيه فى هذه اللحظة صورة كاملة واضحة لبيت المقدس رآها الرسول وحده وأخذ ينظر اليها ، ويصف للمجتمعين حوله وصفا دقيقا للبيت ومافيه من بناء وأثاث٠

وعندئذ كبر أبو بكر - رضى الله عنه ، وصاح فى فرح : « مابعد ذلك من وصف ، لقد شاهدتم بيت المقدس مرارا ورأيتم مافيه ، أما محمد فكلنا نعلم انه لم يذهب قبل هذه الليلة الى بيت المقدس ، ومع ذلك فلن يستطيع أحد منكم أن يعرفه هذا التعريف الكامل والوصف الشامل الدقيق الا الرسول الصادق الامين ٠٠ صدقت يارسول الله ٠٠ صدقت يارسول الله »

وعن ذلك يقول القرآن فى سورة «الاسراء» : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » ٠

صـــلاة

وفى تلك الليلة ·· ليلة الاسراء واللقاء فرضـــت الصلاة على النبى خمسة أوقات ·

قال أنس بن مالك : « فرضت على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، : الصلوات ، ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى يامحمد ، انه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين » ··خمس صلوات فى العدد لهن ثواب الخمسين فى الاجر ·

وكان المسلمون فى مبدأ أمرهم يؤدون صلواتهم على هيئة أدعية وابتهالات من غير عدد محدد أو وقت متعارف عليه ، الى أن فرضت الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام وعلى أمته فى حضرة القدوس الأعلى · ولعلها (١) كانت هى السر العظيم الذى افضى به الملك الجليل الى عبده ورسوله، فان الصلاة هى الصلة الدائمة بين العبد وربه ، وهى لب العبادة وجوهرها وعماد الدين وركازه ، فاذا ماتوطدت هذه الصلة بين العبد وربه كان أول مظاهرها الا يذل الا له، ولا يستعين الا به ، ولا يعمل الا بتغاء رضوانه ·

ومن هنا كانت الصلاة أول ما فرض من فرائض الاسلام لأنها أول مظاهر التدين ، وأقوى وسائل الاتصال بين العبد

---

(١) من صفحة ٢٥٨ من كتاب صور من حياة الرسول لأمين دويدار

وربه ، فان وقوف العبد بين يدى مولاه خاشعا متذللا متجردا من كل معانى الحول والقوة ،يدعوه .. ويناجيه.. ويستعينه ويستهديه ، موقناً أنه ــ هو وحده ــ مصدر النعم ، وواهب القوى ومالك الأمر فى الدنيا والآخرة .. ان وقوفه هذا ، على هذه الحال من الضراعة والخشوع ، ومن التجرد والشعور بالضعف ومن التذلل والابتهال فى طلب المعونة هو لب الدين وحقيقته ، وهو سر العبادة وجوهرها .

ومن أجل هذا كانت الصلاة عماد الدين ، وكانت المحافظة عليها واجبة فى السفر والاقامة ، وفى الأمن والخوف ، وفى الصحة والمرض ، وكان تكرارها خمس مرات فى اليوم والليلة تدعيما لهذه الصلة .

ان الانسان معرض فى حياته لكثير من الصعاب ، وكثيرا ما تحول قوى الشر بينه وبين ما يبتغيه من الخير ، وكثيرا ما تضطره ضرورات العيش الى ان يحيد عن الطريق السوى ، وكثيرا ما تخدعه مغريات الحياة الدنيا فيستجيب لها ويستمرىء لذائذها ، والانسان بطبعه ضعيف لا يستطيع وحده ان يقاوم عناصر الشر وهى كثيرة جذابة . فاذا لجأ الى ربه ، ووقف بين يديه متضرعا يستمد منه الحول والقوة وجد منه العون والحماية ، وتضاءلت أمامه القوى مهما عظمت ، وانهزمت له عناصر الشر مهما كثرت ، وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم اذا حزبه (١) أمر فزع

(١) اشتد به أمر أو أصابه هم

الى الصلاة ، ولعل هذا هو مرمى قوله تعالى : قوله تعالى : « **واستعينو بالصبر والصلاة** » :

وفي الصلاة تزكية للنفس وتطهير مستمر ؛ لأنهـا اتصال دائم بالله عز وجل ، ومتى كان العبد دائم الصلة بربه فقد أصبح أكثر خشية له من سواه ، واكثر حرصا على طاعته ، وأشد بعدا عن مخالفته ، فاذا ماخدعه الشيطان فأقدم على ارتكاب اثم ، تذكر أنه بعد ساعة أو سـاعتين سيقف بين يدى ربه الذى يعلم السر وأخفى ، فيستحى أن يقف بين يديه وهو آثم ، فيسـارع الى الاستغفار والتوبة ، فلا تحضره الصلاة الا وقد رجع الى الله تائبا منيبا :

« **ان الذين اتقـوا اذا مسهم طائف من الشـيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » ولعل هـذا هو معنى قوله تعالى : ان **الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** » .

وكان رسول الله صـلى الله عليه وسلم يفسر هذا لأصحابه بقوله : « أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : « فكذلك مثـل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

والصلاة لقاء محبة وأنس بين العبد وربه يفرح به المؤمن الصادق كما يفرح الحبيب بلقـاء حبيبه ، وتهيم اشواقه اليه فلا يزال يسعى له ويستزيد منه ، ولن يدرك هذه الحقيقة الا من غمر الايمان الصادق جوانب نفسه ،

حتى صفت روحه ورقت حواشيه وشف وجدانه ، فانكشفت له صوره من جلال الله وكماله ، فامتلأ قلبه بحبه فاتخذ الصلاة وسيلة الى لقائه كلما دفعه الشوق الى هذا اللقاء ، ولعل هذا هو تفسير قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انتظر الصلاة هامت اليها اشواقه ، فيقول : « ارحنا بالصلاة يا بلال » لما كان يجده فى الصلاة من الانس والانتعاش الروحى بلقاء ربه .

ان الصلاة أقوى صلة بين العبد وربه فاذا أحسن العبد هذه الصلة فقد وضع يده على كنز من القوة لا ينفد وعلى معين من الأنس لا ينصب ، وعلى مدد من الرحمة لا ينقطع .

ومن أجل هذا كانت الصلاة أول فرائض الدين ، واكثرها دورانا مع الليل والنهار » .

« كتب(1)الله الصلاة على عبيده ، واقتضت حكمته أن تكون أنفع وأصح مامنحهم من خير .. »

نعم ، خمس صلوات فى اليوم ، تمكن بنى البشر من الراحة التامة خمس مرات يوميا ، فتحول بينهم وبين الانفعالات والعواطف المثيرة التى تؤدى تارة الى المغالات فى الفرح ، وذلك طريق يؤدى الى الرذائل ، وتارة الى المغالاة فى الحزن ، وذلك طريق قد يؤدى الى جنون اليأس ،

---

(1) ص ١٦٥ من كتاب محمد رسول الله

خمس صلوات يوميـــا بما لهن من مقدمات فى الطهارة يلزمن الانسان بالتفكير فى نظافة بدنه وصفاء روحه » .

أوقات الصلاة :

عن جابر بن عبد الله ، ان النبى صـــلى الله عليه وسلم : « جاءه جبريل ظهرا ، فقال له : قم ، فصـــله ، فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر فقال : قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم جاءه المغرب ، فقال : قم فصله ، فصلىالمغرب حين غربت الشمس ، ثم جاءه العشاء ، فقـال : قم فصله ، فصـــلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر ، فقال : قم ، فصله ، فصلى الفجر حين برق الفجر (أو أقال : سطع الفجر) ثم جاءه من الغد للظهر ، فقال : قم فصله ، فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثـــله ، ثم جاءه العصر ، فقال : قم فصله ، فصـــلى العصر حين صـــار ظل كل شيء مثليه ، ثم جاءه المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه ، ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل (أو ثلث الليـــل) فصلى العشاء ، ثم جاءه حين أسفر جدا ، فقـال : قم فصـــله ، فصلى الفجر ثم قال : ما بين هذين الوقتين وقت » .

أذان الصلاة :

وكانوا اذا جاء وقت الصلاة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة جامعة » فيجتمع المصلون ، وأحيانا ما كانوا يجتمعون لوقت الصـــلاة من غير نداء أو

دعوة . « وكان رسول الله قد أهمه أمر الأذان واعـلام الناس بالصلاة ، حتى قال : « لقد هممت أن أبعث رجالا فيقومون على آطام المدينة ، فيؤذنون الناس بالصلاة » . واستشار أصحابه فى هذا الامر ، فقال بعضهم : نستخدم الناقوس كما يفعل النصارى ، وقال آخرون : ننفخ فى البوق كما يفعل اليهود ، وقال البعض : نضرب بالدف كما يفعل الروم ، وكان من رأى لفيف منهم أن يوقدوا النار كما يفعل المجوس واقترح بعضهم أن ترفع راية اذا حان وقت الصلاة ، فاذا رآها الراءون أخبروا بها المصلين، بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرتض أى رأى من هذه الآراء ، لانه كان يحب ان يكون للعمل الاسلامى طابعه المميز الخاص ، وانفض ذلك المجلس الاستشارى من غير أن يتفق فيه على رأى ، وقام الرسول مهتما وقام أصحابه كذلك . قال محمد بن اسحق عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن زيد بن ثعلبة قال : « بينما هم على ذلك ــ وقد أجمع البعض على أن يضرب بالناقوس ، فكره النبى ذلك لموافقة هذا الصنيع لصنيع النصارى ــ طاف بى من الليل طائف وأنا نائم : رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت له : يا عبد الله ، اتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به الى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ، قلت : وما هو ؟ قال : تقول : « الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن

محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ؛ حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا اله الا الله ، فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بما رأيت ، قال : « انها لرؤيا حق أن شاء الله ، فقم مع بلال ، فألقها عليه فليؤذن بها ، فانه أندى صوتا منك » .

فلما أذن بها بلال ، سمعها عمر بن الخطاب ، وهو فى بيته ، فخرج الى رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبى الله ، والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله : « فلله الحمد على ذلك » .

وأخذ بلال يؤدى مهمته ، فيجمع للصلاة المسلمين على اختلاف طبقاتهم واجناسهم ، وعمد الى سطح المسجد فصدح منه بذلك النداء الصادر من أعماق الروح الاسلامية الله أكبر .. الله أكبر ..

كانت هذه الكلمات ، كلمات الاذان ، خارجة من فم بلال فى قوة وانسجام كأنها المياه المعطرة تسيل من ابريق نفيس ، وكانت تنتشر فى جميع ارجاء المدينة منسابة داخل المساكن ، وكان المؤمنون يأتون سراعا أفواجا أفواجا ، ليتنسموا فى لذة طيب الصلاة المنعش .

ومن ذلك الحين من أعلى المنارات المرتفعة الرشيقة فى جميع بقاع العالم يدعو المؤذن للصلاة خمس مرات فى اليوم (١) .

(١) ص ١٩٥ من كتاب محمد رسول الله

قبلة الصلاة :

والقبلة هي رمز الوحدة العقيدية ، واليهـــا يتجه المصلون فى اليوم مرات ٠٠ ومرات ، تجمعهم ، وتربطهم وتوحد هدفهم • ولقد كان المسلمون فى مستهل حياتهم العقيدية يصلون ، ولم تكن صلاتهم اذ ذاك الا اتجاها الى الله فى دعاء وتوسل وخشـــوع ، ولم تكن لهذه الصلاة أوقات معينة ولا طقوس خاصة ، ولم تكن تتعدى ابتهالات ورجوات يرفع بهـــا المسلمون أكف الضراعة الى الله ، وتسبيحات وتحميدات على ما أفاء الله عليهم من منـــة الاسلام ونعمة الهدى والايمان :**لله المشرق والمغـرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم** (١) • فالله فى كل مكان ، لاتحده جهة ولا تحصره أمكنة ، ليس له صـــورة ولا حدود محصـــورة ، أينمـــا تولوا وجوهكم له بدعائكم ورجائكم ففى هذا الاتجاه يكون الله معكم ويسمع دعاءكم ويحقق رجاءكم ان الله واسع لا يتحدد ولا يحصر عليم بمن توجه اليه اينما كان فاعبـــدوا الله حيثما كنتم ونزهوه حيثما حللتم وادعوه وارجوه أنى كنتم فهـــو معكم ٠٠ وقريب منكم يجيب دعوة الداعي ويحقق رجاء المصلى المبتهل •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتشوق ويتشوق

---

(١) ايه ١١٥ من سورة البقرة

٠٠يتشوق الى أن توجد قبلة يتجهاليها المصلون فيصلاتهم ترمز للوحدة في المتجه ، وللاتحاد في العبـادة ، وأحس صلوات الله وسلامه عليه (١) حينما أوشـك أن يتم مسجده الأول أحسن بمقدار التسامي والجمال الذي سوف تصل اليه الصلوات اذا ما اتجهت القلوب كلها نحو جهة واحدة ، فاتحدت النفوس في مثل اعلى واحد نشأ عن ذلك الاتجاه الواحد ، لذا عمـــد الى قالب مصنوع من الحجر والطين ووضعه ملاصقا للحائط الشـــمالي من المبنى وبه عين القبلة الأولى « وكانت بيت المقدس » ٠

وكان الرسول بادىء الامر (قبل الهجرة) وقبل بناء مسجده الاول كان يتجه في صـلاته الى الكعبة قبلة أبيه ابراهيم ثم أمر بعد الهجرة ، فاتجه الى المسجد الاقصى وظل يصلي في هذا الاتجاه قرابة عام وبعض عام ، « وقد اتجه الى المسجد الاقصى عزوفا عما كان في مكة من اصنام وتفاديا من اشتراكه في الاتجاه اليهـــا مع المشركين ، أو لعله فعل هذا عند هجرته من مكة من أجل هذين السببين من جهة وتأثرا من موقف أهل مكة الجحودي المؤذي الذي اضطره الى مفارقة مكة من جهة ، وتألفا لليهود وتسهيلا لاجابتهم لدعوته من جهة ثالثة ، ولكن اليهود وقفوا منه موقف الانكار والجحود والدس من جهة واخـــذوا يزهون عليه وعلى المســـلمين بأن اتجاههم الى قبلتهم هو اعتراف بأنهم على الهدى ، وبأن النبي والمسلمين انما يقتبســـون

---

(١) ص ١٩٤ من كتاب محمد رسول الله

الهدى منهم ، وبأنهم أولى أن يتبعوهم ويندمجوا فيهم ، لا العكس ، فحز هذا فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم وانبثقت فيها أمنية التحول عن سمت المسجد الاقصى (١)

وظل الرسول يتشوق ويتطلع الى أن تتجه القبلة الى قبلة أبيه ابراهيم ٠٠ الى الكعبة ٠ وكان يتوقع ، كما يقول الزمخشرى (٢) « كان يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة ، لأنها قبلة أبيه ابراهيم ، وأدعى للعرب الى الايمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ، ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل والوحى بالتحويل » ٠

ونزل وحى الله يعبر عن حالة محمد ونفسية محمد وأمنية محمد : « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » ٠

اننا يا محمد نرى تردد وجهك وتصرف نظرك الى السماء تطلبا للوحى فيما يختص بتحويل القبلة فلنوجهنك الى قبلة تحبها وترضاها هى قبلة أبيك ابراهيم ، فول وجهك جهة المسجد الحرام ، وأنتم يا أتباع محمد فى أية جهة كنتم وفى أية بقعة من بقاع الارض ضمتكم ٠٠ فى بر أو بحر ، فى مشرق أو مغرب ، فليكن متجهكم فى صلواتكم الى رمز وحدتكم الايمانية واتحادكم العقيدى المسجد الحرام ٠٠ البيت الحرام « الكعبة » ٠

---

(١) ص ٧٩ من كتاب سيرة الرسول لعزة دروزه

(٢) ص ١٠٠ ج ١ من تفسير الكشاف

ان فى مطلع تلك الآية « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء** » قرينة قوية على ما اعتلج فى نفس محمد من أزمة بسبب الاتجاه نحو المسجد الاقصى وزهو اليهود وموقفهم من ذلك ، وعلى ما قام فيها من رغبة فى التحول عنهـا ، وقوله تعالى : « **فلنولينك قبلة ترضاها** » يمكن أن يلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم حين صار يائسا او كاليائس من اليهود وثارت فى نفسه تلك الأزمة وقامت فيها هذه الرغبة تراءى له ان اتجاهه الى قبلتهم ممـا يضعف قوة دعوته ، وأن دعوته الى قبلته الأولى مما يؤلف قلوب العرب كما ان ذلك هو الأولى ، لانها بيت الله العربى القديم الذى يعرفه العرب ويرتبطون به ، والذى هو من عوامل وحدتهم الروحية بسبب اشتراكهم جميعا فى حجة ، فكان يتمنى ان يتحول اليهـا فى صلاته وتكون قبلته ثانية ، ولعـله كان يسمع تألما أو انتقادا أو يرى حيرة العرب مسلمين وغير مسلمين من الاتجاه الى المسجد الاقصى واهمال الكعبة وهى بيت الله العربى المقدس منذ قديم الاحقاب ، فكان هذا مما قوى ما فى نفسه من الرغبة والأمنية (١) .

ثم يقول الله : « **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم (٢)** » .

---

(١) ص ٧٩ من كتاب سيرة الرسول لعزة دروزه

(٢) من سورة البقرة من الآيات ١٤٢ ـ ١٥٢

« ان استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وانما جعلنا الجهة التى كنت عليها قبل وقتك هذا ، وهى بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن ينفر عنه (١) » ٠

فما كان ذلك التحويل الا امتحـانا لمن يؤمن ويذعن ويرضى بأمر الله ، وكشفا عمن يعاند ويشاقق وينافق ٠ كان اختبارا نسبر به غور المؤمن وعمق ايمانه ونستشف به ضحالة يقين الجاحد وضآلة معتقده ٠ فكان عملا ايجابيا كاشفا يوضح لك الرؤية ويحدد الأبعاد ٠٠ يظهر لك من اتبعك وأقام على ملتك وسار فى طريقك كما يظهر لك من انتكس ونكص على عقبيه ورجع الى ظلامه وأوهامه ، كما أظهر لك اليهود السفهاء على حقيقتهم « ولقد رأى اليهود فى هذا التحول ضربة شديدة توجه الى مكانتهم الدينية ووسيلتهم الى الزهو على النبى صـلى الله عليه وسـلم والمسلمين فنشطوا ـ على ماتلهـمه الآيات ـ الى الدس ، والحجاج وتشكيك المسلمين ، فقالوا اذا كان سمت المسجد الأقصى غير حق فقد أضاع النبى عبادة الذين صلوا اليه ، واذا كان حقا فلا معنى للتحول عنه ، وتكون الصلاة الى الكعبة ضائعة ، وقالوا ان افعال النبى اذا كانت مستندة الى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالامس ، ولما قال

---

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٠٠

اليوم قـــولا ثم نقضـــه فى الغـد لاســـيما فى الأمور التعبدية (١) •

« سيقول السفهاء من النـاس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (٢) » •

وكان لهذه المزاعم والترهات التى اذاعهـــا اليهود وادعاها أحبارهم كان لهـــا بعض الأثر فى نفسية بعض المسلمين • « ذهب حيى بن اخطب واصحابه من اليهود وقالوا للمسلمين : اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ، ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه ، وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ، ومن مات عليها فقـــد مات على ضلالة !! »

فقال المســـلمون انما الهـــدى فيما أمـر الله به والضلالة فيما نهى عنه ، قالوا : فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا ؟ وقد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة : « أسعد بن زرارة » من بنى النجار ، و « البراء ابن معرور » من بنى ســـلمة ورجال آخرون ، فانطلـق عشائرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يارسول الله قد صرفك الله الى ملة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس ؟ فأنزل الله تعالى :

---

(١) ص ٨٠ من كتاب سيرة الرسول

(٢) آية ١٤٢ من سورة البقرة

« **وما كان الله ليضيع ايمانكم** » اى صلاتكم الى بيت المقدس (١) .

عن تحويل القبلة .. وعن الكعبة ، وموقف اليهود ودسائسهم ، وعن أمانى محمد ، تعرض هذا كله تلك الآيات من سورة البقرة : **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرءوف رحيم ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتو الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون ، ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ، ولكل**

---

(٤) ص ١١٦ من تفسير الجمل جـ ١

وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ، الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون (١) » .

(١) الآيات من ١٤٢ الى ١٥٠ من سورة البقرة

أوهام ومزاعم!

نظر اليهود الى أنفسهم ، والمجتمع الاسلامى وليد ، فوجدوا أنفسهم أكثر عددا وأوفر ثروة ، وأصحاب كتاب سماوى ، وعلى صلة بالانبياء وباخبار الأمم الغـابرة لذا ظنوا أن يجعلهم النبى خارج نطاق دعوته ، معتبرين انفسهم اهدى من أن تشملهم ، وامنع من أن يامل النبى دخولهم فى دينه وانضوائهم تحت رايته ، بل لقد كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمام محمد اليهم ، ولاسـيما حينما رأوه يصلى الى قبلتهم ، ويعلن ايمانه بأنبيائهم ، وكتبهم بلسان القرآن ، ويجعل ذلك جزءا لا يتجزأ من دعوته ، ويتلو فيما يتلوه :

« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

« ولقـــد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه ، وجعلناه هدى لنبى اسرائيل ، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون » « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » « ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » « فخاب ظنهم ورأوه يدعوهم فى جملة الناس ، بل يختصهم بلسان القرآن أحيانا بالدعوة ويندد بهم لعدم اسراعهم الى استجابتها ، ولموقفهم

منها موقف الانقبـــاض ، ثم موقف التعطيل والتناقض : « أتأمرون الناس بالبر وتنســـون أنفســكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون » .

فكان هذا ـ على ما هو المتبادر باعثا على تنـــكرهم للدعوة وحقدهم عليها وعلى صـــاحبها منذ اللحظات الأولى من العهد المدنى ، ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم، ويتخذون النبى مرجعهم الأعلى ومرشدهم الأعظم وقائدهم المطاع ، فاستشـــعروا الخطر العظيم يحــدق بمراكزهم وامتيازاتهم ومصالحهم اذا هم أرادوا أن يستمسكوا بكيانهم الخاص ويظلوا على يهوديتهم ولا يندمجوا فى الدعـــوة الاسلامية ، فكان هذا عاملا على اندفاعهم فى خطة التنكر والحقد والتآمر والصد والتعطيل الى نهايتها » (١) .

« ومن العجيب المعجز أن يقرأ المرء اليوم آيات القرآن المدنية فى أخلاق اليهود بوجه عام ، وعاداتهم ومكايدهم ودسائسهم وأنانيتهم وزهوهم وتبجحهم ، واستحلالهم لكل ما فى ايدى الغير ، وضنهم باى شىء مفيـد للغير ، وعدم اخلاصهم فى محبة أو موقف ولاء للغير ، وحسدهم لأى نعمة ينالها الغير ، وتدبيرهم لكل وسيلة مهما دنأت وفجرت وكان فيها كفر وفسق ونقضهم لمبادىء الدين والعهد فى سبيل مكايدة الغير وتهديمـــه وسلب ما ناله من نعمة وخير ، وتشجيعهم لكل حائد وحاسد ومنافق ودساس ومتآمر ، ثم ينظر المرء اليهم اليوم فيكاد يرى اجمالا صورة طبق

---

(١) من ص ٥٢ جـ ٢ من كتاب عزة دروزه « سيرة الرسول »

الأصل : جلبة خاصة وترفع عن الاندماج الصادق مع من يعيشون معهم من الأمم وأهل الأوطان ، ودس ومكر وكيد ، وجحود وحجاج ولجاج ، وندب وعويل بدون مبرر ، وشره شديد الى ما فى ايدى الغير ، ومحاولة للاستيلاء على الكل ، والتأثير فى الكل ، واللعب فى وقت واحد على كل حبل وفوق كل مسرح ، والتوسل بكل وسيلة الى الغاية التى يريدون ، وعداء لكل الناس وسخرية منهم وخداع لهم ، وتهديم لكل بنيان وكيان ونظام فى كل مكان وزمان وتسخير لكل قوة فى سبيل مأربهم وأنانيتهم وكيدهم وعدائهم ، وقسوة متناهية فى اعدائهم حين يتمكنون منهم ، انهم ، لا يوجدون فى أرض الا والعين مزورة عنهم ، والسخط فائر عليهم ، والنفوس متبرمة بهم ، والناس مستثقلون ظلهم ، راغبون فى التخلص بأية وسيلة منهم ، وجاعلون الحذر منهم أساس صلاتهم بهم ، بسبب تلك الاخلاق المتوارثة فيهم جيلا عن جيل والتى يلمسها الناس فيهم بكل شناعتها وسوءاتها ، وليس هذا اليوم فحسب ، بل انه لكذلك منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى امتداد القرون المتطاولة ومن قبل الناس جميعا ، بل من قبل عهد النبى على مادمغتهم به أسفار العهد القديم وحوادث التاريخ ، مما لا يمكن تعليله الا بتلك الجبلة الخاصة التى جلبت عليهم ما جلبت منذ أقدم الأزمنة الى الآن (١) .

---

(١) ص ٥٥ من المصدر السابق

ولم يكن اليهود وحدهم فى الميدان العدائى لدعوة الاسلام ، بل ناصرهم كافرون ، وظاهرهم منافقون كانوا يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فكانوا أشر على المسلمين من هؤلاء الذين جهروا بشركهم وكفرهم .

وكانت مواقف كيدية وتآمرية من الكفار .. والمنافقين واليهود ، يدبرها ويكشفها القرآن لمحمد .. **« ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ، واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »** .

آيات من سورة النساء تجلو صورة المنافقين وتظهر ملامحها ومنازعها كما تكشف عن مزاعمهم وصدهم عن دعوة الحق ورغبتهم عن التقاضى لدى محمد ورغبتهم فى التقاضى لدى الطاغوت وهو زعيم من زعماء اليهود كان اعدى عدو لمحمد ولدعوة محمد ولأمة محمد .

ويقدم القرآن شريحة أخرى كاشفة توضح لمحمد مسلكا أنانيا يبغون بواسطته الحصول على ما ليس لهم بحق : **« ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون (١) »** .

وعن دسائس المنافقين ومجالسهم الخفية ومينهم

---

(١) آية ٥٨ من سورة التوبة

وجبنهم ازتحيتهم الكاذبة وقناعهم الزائف الى كل ذلك توجه هذه الآيات من سورة المجادلة نظر محمد : « **ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ، ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (١)** » •

ويدعو محمد أصحابه المسلمين كافة : فقراءهم وأغنياءهم الى أن يبذلوا ، ويعطوا ، ويتصدقوا كل قدر وسعه وعلى قدر طاقته ، ليسهموا فى صنع الخير ودعم السلام وحماية المجتمع ، ولبى الصحابة النداء المحمدى ، فتصدق عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله كما تقدم « أبو عقيل » بمقدار ضئيل من التمر كان كل ما فى جعبته •

وهزت المنافقين تلك الاريحية الاسلامية فاطلقوا سهام الغمز المسمومة والشائعات الكواذب ، ليعكروا بها الصفو الاسلامى والموقف الانسانى الناصع فأخذوا يلمزون المتبرعين من الأغنياء والمتطوعين من الفقراء ، فقالوا عن الأغنياء أنهم انما يعطون رياء وعن الفقراء الذين بذلوا جهدهم ان ما أتوا به تافه لا قيمة له وان ماقدموه انما هو وسيلة لهم ، لأن ينالوا به بعد ذلك نصيبا أوفر من مال الصدقة •

---

(١) آية رقم ٨ من سورة المجادلة

كل هذه التخرصات تحكيها هـــذه الآية : « **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصــدقات ، والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (١)** » .

وللنيل من محمد وشخصيته قالوا عنه انه « أذن » يسمع ما يقال له ويصدق كل ما ينقل له ، ويعرض اللـه على رسوله هذه القالة الكاذبة وتلك الفرية ويرشده الى دفعها والرد عليها : « **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رســول الله لهم عــذاب أليم (٢)** » .

وعن استخفافهم بمجالس العـلم التى كان يعقــدها محمد يشرح فيها وحى ربه ، وعن انصرافهم عنهـــا يقول القرآن لمحمد : فى سورة محمد : « **ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم : ماذا قال آنفا ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (٣)** » .

وكما حفل القرآن في مواضع عديدة بعرض ألوان من نفســية هؤلاء الفاســقين ومواقفهم ومزاعمهم وتبيــان عاقبتهم ، كذلك حفــل بعرض كثير من اتهامات الكافرين

---

(١) آية ٧٩ من سورة التوبة
(٢) آية ٦١ من سورة التوبة
(٣) آية ١٦ من سورة محمد

واقاويلهم ومسلكهم ازاء دعوة محمد ووحى ربه ، فقالوا ــ ضمن ما قالوا ــ ان القرآن افك وان محمدا هو الذى افتراه ، كما قالوا ، انه اقاصيص اكتتبها محمد وتلقاها عمن توارثوها ويرد القرآن عليهم بأن القرآن آيات منزلة من الله على نبيه ؛ عن طريق الوحى ، لتهدى الناس الى طريق الخير والبر : « **وقال الذين كفروا ان هذا الا أفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما** (١) » .

كما افترضوا أن الرسول لابد وان يكون من طراز خاص ، ومن صنف غير صنف البشر ، ولا يأكل كما يأكلون ، ولا يمشى كما يمشون ؛ له قوة خارقة برفقته ملاك من السماء يؤيده ويعضده ، ويرد عليهم القرآن ويقرر لهم أن الرسل بشر ، لا يفترقون عن سائر الخلق الا بالعصمة والوحى ، « **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ، أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** (٢) » ويقول القرآن : « **وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلوا الطعام**

---

(١) آيات ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة الفرقان

(٢) آيات ٧ ، ٨ ، ٩ من سورة الفرقان

ويمشـون فى الأسـواق ، وجعلنـا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا (١) » .

وهؤلاء الذين أنكروا لقاء الله وجحدوا البعث غالوا فى مطالبهم وتغالوا فى متطلباتهم ، « **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجـورا ، وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءمنثورا (٢) .**

« **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القـرآن جملة واحدة ، كذلك ، لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » (٣) .**

وحينما رأوا النبى منهم ، وبشرا مثلهم يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتعرض لكل ما يتعرض له النـاس بطباعهم البشرية .. وحينما سمعوه يعلن بلسان القرآن انه لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا سخروا منه واستهزءوا به « **واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم (٤) » « واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا » (٥) .**

---

(١) آية ٢٠ من سورة الفرقان . (٢) آية ٢٣ من سورة الفرقان
(٣) آية ٣٢ من سورة الفرقان (٤) آية ٣٦ من سورة الأنبياء
(٥) آية ٤١ من سورة الفرقان

ومن ورء ذلك كــله اصرار على الشرك ، واقامة على الكفر : « **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا(١)» «بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون(٢) »** •

مفتريات ومزاعم وأقاويل رددها الكفار فى أكثر من موطن ، ورد عليها القرآن فى أكثر من موضع ، وأفضى بها الوحى الى من نزل عليه الوحى ، ليطمئن •• وليثبت هو وصـــحبه ، حتى يصقلوا عقيـدة الأناسى وحتى يصلوا بالبشرية الى الهدف •

---

(١) من آية ٢١ من سورة لقمان

(٢) من آية ٢٣ من سورة الزخرف

فرار إلى الله

العناية الربانية بالنبى محمد ·· ورباطة جأش محمد يتمثلان في حادث من أروع حوادث السيرة الشريفة هو حادث الهجرة النبوية ·

فالهجرة كانت المشعل الذى نقل الضياء من مكة الى «يثرب» ثم الى العالم أجمع ونقل العقيدة الوليدة من أرض صلبة حرون وأجواء مشحونة بالشرك والعفن الى أرض مثمرة وأجواء صالحة حية والهجرة ـ بعد ذلك ـ رمز هادف يأخذ بيد ذوى الرسالات وأصحاب المبادىء لينتقلوا عند اقتضاء الامر من أرض رخوة تكاد تميد تحت أقدامهم فتحيط بهم وتطيح بمبادئهم الى أرض أخرى جديدة بكر تتقبل تربتها بذور تلك الرسالات وأصول تلك المبادىء فتضرب فى أعماق أرضها ، وسرعان ما تثمر ثمرا تمتد الى جناه أيدى المستفيدين ، ويفىء الى ظلاله عديد من معتنقى تلك المبادىء والقيم ·

ورأى صلوات الله عليه موجات الأذى تتدافع قوية عارمة من حوله ·· وسمع صيحات الاستنكار تدوى ·· وكان المؤمنون ممن اتبعوه وقتئذ قلة مستضعفين، والعقيدة وديعة بين يديه عليه صيانتها وحمايتها ونشرها ورأى زعماء مكة ووجهاءها يلجئون الى شريعة الغاب ولغة العنف والاضطهاد ليحافظوا على مكانتهم ومكاسبهم وحاولوا

جاهدين ألا تتسرب أشعة الضياء الى خارج حدود مكة ٠٠ وتآمروا فى مكة واجتمعوا فى « دار الندوة » يحيكون مؤامراتهم ويحبكون أطرافها ويخططون لها ، وخلصوا فى النهاية الى أن يطعنوا الدعوة فى الصميم بطعن الداعى لعل فى القضاء على حياته قضاء على حياتها ، واتفقوا على أن يجتمع لفيف من شباب القبائل يتسلح ثم يتوجه فى مسيرة واحدة للاجهاز على محمد وبهذا الاغتيال الجماعى يتفرق دمه بين القبائل فلا يطالب أحد من أعوانه بثأر ولا يقدر قومه على الوقوف فى وجه بقية القبائل « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» (١)**

وفى لحظات عقب انتهاء هذا الاجتماع تم اعداد الخطة للتنفيذ فاختير الشباب ، وتم تسليحهم ٠٠ وتوجهوا على قلب رجل واحد فى نفس تلك الأمسية الى بيت محمد ، وانتظروا ٠٠ ومضى الهزيع الاول من الليل والمؤتمرون يحاصرون بيت النبى ويطوقونه ، حتى يحولوا بين محمد والهرب ٠٠ وكانت آونة التنفيذ أو ساعة الصفر ـ كما يقولون ـ كانت عند اشراقة الفجر ٠

وبدأت الظلمة تحتضر ، والفجر يولد ، وبدءوا فى التنفيذ ٠٠ ولكن أنى لهم والله فوق تدبيرهم ومكرهم :

« **انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم**

---

(١) آية ٣٠ من سورة الأنفال

مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) ٠

أغشاهم الله وأعمى أبصارهم وغطى على نواظرهم ، فعقدت أجفانهم سنة من النوم ، فخرج رسول الله من بيته وكله ثقة فى الله ٠٠ وأخذ الرسول حفنة من تراب نثرها على رءوس المؤتمرين النائمين وأخذ طريقه مهاجرا بدينه ، وعقيدته ، بوحى ربه الى «يثرب» مع صديقه أبى بكر وأسقط فى أيديهم عندما تنفس الصبح ولفظت المضاجع ساكنيها ٠

وفى سرعة سريعة اندفعوا نحو الباب شاهرين سيوفهم فى وجه النائم الذى استوى قائما :

فرأوا فيه « على ابن أبى طالب » فتراجعت سيوفهم ثم نكست فى أسى واسف وحزن وضيق وخزى سجله الله عليهم الى يوم الدين ٠٠

وهاجر محمد ٠٠ وهجر مكة وراءه وهو يعلم أن كفارها سيطلبونه وسيطاردونه ، فهم لا يريدون حياته ولا حياة دعوته فى يثرب ، لذا سلك طريقا غير الطريق المألوف ٠

قال ابن اسحق : لما أزمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الخروج اتى ابا بكر بن قحافة فخرجا من خوخة لابى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمد الى غار بجبل ثور

---

(١) من سورة يس

فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة – مولاه – أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما يأتيهما اذا أمسى في الغار .

وفى كتاب الدر المنثور : «ان محمدا – عليه السلام – مشى ليلة على أطراف أصابعه لئلا يظهر رجليه على الارض حتى حفيت قدماه ، وانه لم يصب الغار حتى تقطرت قدماه دما ، كذلك روى ان ابا بكر رضى الله عنه ، كان – وهما في طريقهما الى الغار – يمشى مرة خلف النبى ومرة بين يديه ، وسأله النبى عن سبب ذلك ، فقال : يارسول الله، أذكر الطلب فأمشى خلفك ، وأذكر الرصد فأمشى بين يديك .

ومكث الرسول وصاحبه فى الغار أياما ثلاثة ، يقول ابن اسحق : « وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله وأبى بكر ، ثم يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة – مولى أبى بكر – يرعى نهاره فى رعيان أهل مكة ، فاذا أمسى أراح عليهما غنم ابى بكر فاحتلبا وذبحا ، فاذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة اثره بالغنم يعفى عليه .. حتى اذا مضت الثلاث وسكن الناس عنهما اتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له » .

رحلة مضنية ومرحلة عصيبة ، بدا خلالها الايمان الكامل وما يشحن به نفس المؤمن من أمن واطمئنان بالله ويقين بنصره ، فلم يكن بدعا ان ظهرت عظمة الرسول فى تلك الرحلة وبانت قوة ايمانه ورباطة جنانه ٠٠ روى ان القرشيين لما وصلوا الى الغار وسمع أبو بكر وقع أقدامهم ازاءه اشتد خوفه على حياة الرسول وقال : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر الى موضع قدميه لأبصرنا ! ! فهدأ رسول الله من روع أبى بكر وقال له : « لا تحزن ان الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ٠

عن ذلك يقول القرآن : « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم** » ٠

لا ..

التربية : أوامر ونواه ، منح ومنع ، ارشاد وتوجيه ، حقوق وواجبات •

فلا غرو أن تضمنت التربية الالهية للنبى محمد أوامر تحميه ونواهى تقيه ، وارشـــادات تأخذ بيده ، وتوجيهات تجنبه عثرات وتبعد عنه قلاقل •

وسنعرض هنـــا قطاعات وشرائح قـرآنية تتضمن ألوانا من تلك التربية الالهية والعناية الربانية التى كشفت لمحمد عن حقائق ، ونفســيات ، وســـلوك ، وتجارب ؛ ومزاعم :

كان هناك فريق من كفار مكة ، سلميون ، يحاولون عن طريق المفاوضـــات والأخـذ والرد وتبـادل الرأى أن يصلوا •• الى حـل أى حـل ، يمنع اراقة الدماء وينشر ألوية السلام على الجميع •

وتقدم هؤلاء الى محمد يعرضـــون حلا ، فقالوا له : انك تعبد الهك وتعظمه ، ونحن نعبد آلهتنا ونعظمهـــا ، فماذا علينـــا اذا ما تبادلنـــا العبادة : أنت تصلى يا محمد لآلهتنا وتكرمها ، ونحن نسجد لالهك ونعظمه •

ونزل قول الرب وتوجيه الاله « **قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ماتعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ لكم دينكم ولى دين** »

وكان محمد يتوسم فى هؤلاء السلميين الاستجابة له ، ولو بعد حين ، وكان يطمع فى أن يؤمنوا يوما ما ، وهم لكى يبقوا على العلاقات فيما بينهم وبينه تقدموا أكثر من مرة بمقترحات يعرضونها على محمد ، ويمهلونه يفكر .. ويقدر ، اقترحوا أن يسكت عن شتم آلهتهم ، ويسكتوا هم عن ترديد مايردده المشركون عن اله محمد !! كما اقترحوا أن يعظموا الهه فترات كل عام فى نظير أن يلم هو بآلهتهم (أصنامهم) ويلمسها كما يفعل بالحجر الأسود .

وحتى لا تتعدى الاقتراحات مرحلة الخاطر والفكر الى مرحلة التنفيذ والفعل .. وحتى لا يميل النبى أو يجنح الى شيء من التساهل ومسايرتهم حرصا على هدايتهم من أجل ذلك عصم الله رسوله وصانه وحماه ، ونهاه عن الاصاخة لتلك العروض وهاتيك المقترحات « **وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ، اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** » (١) .

يدل على هذه الحماية الالهية التعبير القرآنى ب « **كادوا** » و « **كدت** » فلم يقع من النبى عمل أو فعل ولم يخط خطى ايجابية نحو التنفيذ وجملة « لقد كدت تركن

(١) من آية ٧٣ الى ٧٥ من سورة الاسراء

اليهم شيئا قليلا » بنوع خاص تدل بقوة وصراحة على ان ما خطر بباله من الجنوح للتساهل قد كان شيئا غير مهم ، مما يصح أن يوصف بانه انما كان اجتهادا فيه خلاف الاولى الذى فى علم الله وحسب » (١)

وتلا عليهم الرسول آيات من وحى ربه فاقترحوا عليه أن يبدل هذا القرآن وأن يأتى بقرآن آخر لا يحتوى على تسفيه عقولهم وتسخيف عقائدهم ولا يهددهم ولا يندد بهم ، وينزل قول الله « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى ، انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون(٢) »**

الغافلون عن الله وعن ذكره، والجاحدون الآثمون.. والكافرون بالالوهية والرسالة والمنافقون المراءون كل أولئك لا تطعهم يا محمد :

« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٣) .

« فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » (٤)

---

(١) ص ١٩٦ من كتاب سيرة الرسول (٢) من سورة يونس آية ١٥
(٣) آية ٢٨ من سورة الكهف (٤) آية ٥٢ من سورة الفرقان

«ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله» (١) «فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون» (٢) «ولا تطع كل حلاف مهين » (٣) ٠، « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا » (٤) ٠

وينزل قول الله لمحمد : « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وأن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٥) ٠**

والآيات هذه تأمر النبى بالصبر على صحبة المسلمين وبعدم الانصراف عنهم للاهتمام بأصحاب الجاه والمـــال ، وتنهـــاه عن الإستماع للغـافلين واللاهين والمنحرفين كما الزمته أن يشـــهر فى وجوههم ووجوه الجميع أن الحق الالهى واضح جلى ، فمن شاء الخير لنفسه اذعن وآمن ومن شـــاء الشر لنفسه جحد وكفر ، وللـكافرين نار وسعير وعذاب ، وللمؤمنين أجر ومغفرة وثواب ٠

---

(١) آية ٤٨ من سورة الأحزاب (٢) آية ٨ ، ٩ من سورة القلم
(٣) آية ١٠ من سورة القلم (٤) آية ٢٤ من سورة الانسان
(٥) آيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ من سورة الكهف

فى بيت النبى

« يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك : وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ، ترجى من تشاء منهن وتئوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما ، لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا»(١) .

هذه صورة قرآنية مما يحفل به القرآن الكريم من صور عديدة لحياة النبى صلى الله عليه وسلم فى منزله ، ولحياته مع زوجاته .. والحديث عن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ منه بعض المغرضين والمستشرقين مادة

---

(١) من سورة الاحزاب ٥٠ ــ ٥٢

للتشهير : وقالوا « ان محمدا قد سن لنفسه قانونا ينقض القانون الذى سنه الله لسائر المسلمين ، كما تطاولوا عليه بسبب عدد النساء اللاتى تزوج بهن أو جمعهن فى عصمته، ولقـــد رد كتاب المسلمين على هـــذا وذاك ردودا متنوعة وجيهة ، منهـا : أن النبى صلى الله عليه وسلم فى تعدد زوجاته لم يكن شاذا عن بيئته أو عن الطبيعة البشرية ، وأن لجل زيجاته ظروفا غير دواعى الرغبة الجنسية ، اذ توخى فى بعضـــها تكريم صاحبيه : أبى بـكر وعمر ، بابنتيهما عائشــة وحفصة رضى الله عنهما ، وفى بعضها توثيـــق الرابطة بين الاسلام وبعض القبـائل ، كزيجته بجويريه ابنة رئيس بنى المصطلق ، وفى بعضـــها تكريم الزوجات المهاجرات اللاتى فقدن أزواجهن فى هجرة الحبشة وجبر نفوسهن كزواجه من «أم حبيب بنت ابى سفيان » وأم سلمة و «سودة» و «زينب» بنت خزيمة ، رضى الله عنهن ، لا ســـيما أن نصف زوجاته كن من المتقدمات فى السن وأولات أولاد ممن تقل الرغبة الجنسية عادة فيهن ، وجوهر ومدى الردود صحيحان كل الصـحة ، لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يمـكن أن يرى انه فى حاجة الى تشريع خاص به مناقض للقانون العام ، لولا ان هنـاك ظروفا قاهرة ، وكان بامكانه أن يستغنى عن المتقدمات فى السن ، وذوات البنين ، وغير الجميلات ، لو كانت دواعى المسألة هى الرغبة الجنسية فحسب » (١) .

---

(١) ص ٧٣ من كتاب سيرة الرسول للاستاذ عزه دروزه

مساكن النبى :

كان بيت النبى صلى الله عليه وسلم ملاصقا للمسجد ، لا يفصلهما الا طريق عرضه قرابة خمسة أذرع ..

وكان البيت مكونا من حجرات ، لكل زوجة من زوجاته حجرة .. وكلما اتخذ زوجة بنى لها حجرة حتى صارت حجرات البيت تسعا ..

وكان المسجد مقصد العباد والمتحنثين والمنقطعين للذكر وللتهجد .. كما كان مقصد المسلمين جميعا ..

وكان الرسول يخرج من منزله أحيانا فيدعو من كان بالمسجد الى الطعام فى بيته ، وغدا بيت الرسول مثابة للقصاد الذين يبغون الهدى والموعظة ، والفتيا ، والتقاضى .

ودفعهم السلوك الاجتماعى العربى المتعارف عليه آنذاك أن يقصد أصحاب الرسول الى بيوته باذن وبلا اذن وبدعوة منه أو بدونها ، وكانت مندوحتهم فى ذلك انهم يقصدون بيت زعيمهم الروحى وهاديهم ومرشدهم وواعظهم ومعلمهم وقاضيهم ومفتيهم ، فلا غرابة عليهم فى أن يدخلوا فى أى آن وأن يقضوا بعض الوقت فى حديث وسمر ، وأن ينتظروا نضج الطعام اذا كان الوقت وقت طعام .

وكان ذلك يؤذى النبى ، وينال من نفسيته ، فما جعلت البيوت لمثل ذلك وخاصة اذا كان المسجد ملاصقا لها واذا كان الرسول بين ظهرانيهم فى المسجد والمجتمع ،

يستطيعون لقـــاءه فى ســهولة ويسر ، وكان ذلك يؤذى زوجات الرسول ويحول بينهن وبين أخذ حريتهن كاملة فى بيوتهن •

فنزل فى ذلك قول من الله يرشــــد المسلمين الى السلوك الاجتماعى المثــالى ، يهذب به الطبائع الخشنة الجافة ، ويهــدى الى المسلك الذوقى الواجب أن يكون بالنسبة الى الرسول • والى المجتمع الانسانى الاسلامى :

« يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم • والله لا يستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » (١) •

حول بيت النبى :

فى جفوة عربية لم تهذبها العقيدة ، ولم يشــــذبها التدين ، ولم يطامن حدتها التقويم الدينى •• وفى سلوك بدوى بدائى •• وفى وقت القيلولة وانفاس الظهيرة حارة لافحة يذهب وفد من اعراب البادية الى مسجد الرســول

---

(١) آية ٥٣ من سورة الاحزاب

للقاء الرسول ·· ولما لم يجدوه فى المسجد أخذوا ينادونه من وراء حجرات نسائه الملحقة بالمسـجد ويصيحون فى غلظة : يامحمد ·· يامحمد ·· اخرج الينا ··!! واستيقظ الرسول من قيلولته !!

وهؤلاء الاعراب لا يراعون فى سلوكهم مناسبات أو ملابسات ولا يسيرون وفق طقوس معينة أو تقاليد خاصة ، بل يندفعون حسب طبيعتهم وبيئتهم ·

وينزل وحى الله على رسـول الله يؤدب ويهـذب ويرشد هؤلاء الى السلوك المثالى والى آداب وتعاليم واخلاق هذبت الطبـاع وميزت السلوك ووجهت الاخلاق ورققت الجفوة وألانت الغلظة · وربى القرآن ايمانهم، ومع التربية الايمانية ربى أخلاقهم وفق تعاليم الهية وسنن وضوابط شرعها للسلوك الانسانى عامة :

« ان الذين ينـادونك من وراء الحجرات أكثـرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خـيرا لهم ، والله غفور رحيم»(١)

(١) آية ٥ من سورة الحجرات

محرر العبيد

نزل تشريع الله . وفى المجتمع العربى اذ ذاك رواسب من تقاليد وعادات استقرت وتأصلت فى الاعماق. كانت هناك الطبقية ، بما تحمله من عنجهية وتكبر واستعلاء ، طبقة السادة الاشراف وطبقة الموالى العبيد ، الأولى غانمة والأخرى غارمة .. الأولى منيعة محصنة ، والثانية مضيعة مهدرة : مهدرة الحق والكرامة والواجب ونزل تشريع الله يحمل دعوة الحرية والاخوة والمساواة والعدالة وتكريم الاناسى والانتصار للآدمية .. ودوت بين أرجاء ذلك المجتمع الطبقي كلمات الله : .. «ان أكرمكم عند الله اتقاكم» . ولقد كرمنا «بنى آدم» ودوت صيحات الرسول : «لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى» و «الناس سواسية كأسنان المشط» وقوله لأعرابى ارتعد عندما رآه: « هون عليك فانما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد » والمأثور عن عمر من قولته الخالدة «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

وأراد محمد أن تزول هذه العصبيات ، وأن يقرب بين هاتيك الفوارق التى شطرت المجتمع العربى آنذاك الى طبقات من سادة أحرار واماء عبيد ، وأن يضع لبنات بناء المجتمع الحر الجديد فى تلك الارض التى لفحتها انواء من

تفرقة وتعصب وتقاليد فعزت على الاصلاح وعلى أن تسود فيها قيم من مساواة وعدالة واخاء ٠ أراد محمد أن يطبق مفهـــوم الحرية الاسلامية على نطاق اشـــمل وأوسع فبدأ بتطبيقها بنفسه وعلى نفسه وعلى أهل بيته وأقرب الناس اليه ، فأعتق مولاه «زيدبن حارثة» ٠٠ وبعد أن وهب له الحرية والكرامة تبناه ، ثم اختـــار له زوجة ، اختار له « زينب بنت جحش » ولم تكن دميمة أو عجوزا ، حتى تجد فيمن قدم لها عوضا عما فاتها من جمـــال أو شباب ، بل كانت شـــابة جميلة ٠ وكانت فوق ذلك من أهل بيت رســـول الله صلى الله عليه وسلم اذ كانت ابنـــة عمته « أميمة بنت عبد المطلب »

وقد تفتحت العيون دهشا لموقف الرسول الانسانى٠

وعارض أهلوها الزواج ، فكيف تربط المرأة الحرة حيـــاتها بعبد محرر ، ورأوا من العار ، وهم الذين كانوا يفخرون بالأنساب والبيوتات ، بل ويتعصبون لها فى حمية وقوة ، رأوا ألا يتم ذلك الارتباط ، فكيف يرقى العبد المعتق الى مرتبة الحر الشريف ؟!

ولكن أراد الله أن يتم عندما نزل قوله تعالى «**وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**» (١)

---

(١) آية ٣٦ من سورة الاحزاب

عتاب

العتاب لغة رقيقة يتحدث بها المحبون ، ونمط من القول يحفظ المودة ويبقى على الأخوة : « ويبقى الود مابقى العتاب » .

وقد يقسو العتب ، وقد يحمل طابع التهديد فيتخطى مرحلة العتاب .. الى العقاب ، هذا فى دنيا العلاقات الانسانية . وهناك عتب الهى .. عتب موجه من الله لمن اصطفاه تفصح عنه هذه الآيات : « **عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ؛ وما عليك ألا يزكى ؛ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى .. كلا** .. »

ولهذا العتب الالهى مغزى كبير ، ودلالته البعيدة العميقة ، فهنا ونحن فى عصر « اتساع الأفق » والتحرر الذهنى مانزال نجد نغمة تردد .. يرددها الكاشحون ، ومبغضو الدين ، وبعض المستشرقين ومن افتتن بهم .. يرددونها وهم فى ذلك عالة على أعداء الدين القدامى المعاصرين للرسول الذين رددوها من قبل ، فزعموا أن محمدا مفتر مدع قد تقول هذا القرآن من عنده !! .

ويشاء العتب الالهى أن يقطع على هؤلاء مفترياتهم وأن

يلجمهم ويلزمهم الحجـة ، فلو كان القرآن من عند محمد ـ كما يزعم المفترون ـ لما ارتضى محمد أن يثبت العتاب على نفسه أو أن يوجه اليه · ولما قرأنا فى القرآن قوله تعالى :
« **عبس وتولى** ·· » الى آخر هذه الآيات التى سجلت عتب الاله على رسوله الكريم عندما أقبل على الرسول جمع من عظماء قريش وزعمائها يناقشونه فى الاسلام ، فتشاغل الرسول بهم طمعا فى اسلامهم ·· وما لبث أن قطع حديثهم صياح صحابى كفيف اسمه « عبد الله بن أم مكتوم » لم ير تشاغل الرسول ـ صلوات الله عليه ـ واهتمامه بمن عنده فظل ينادى ويقول : يامحمد ، جئت اليك لتعلمنى مما علمك الله ، فكره الرسول منه هذه المقاطعة وظهرت دلائل الغضب على وجهه الكريم فنزلت آية العتاب السابقة الدالة على صدق القرآن وصدق من نزل عليه القرآن، يقول الدكتور أحمد بدوى فى كتابه من بلاغة القرآن (ص٣٦٣)
« بدأ هذا العتاب متحدثا عن الغائب ، وكأنه بذلك يريد أن يرسم الصورة لرسوله على لوحة يراها أمام عينيه على وجه غير وجهه ، لتكون الصورة واضحة القسمات بينة المعالم ، فالمرء لا يرى وجه نفسه ، ثم اتجه العتاب الى الخطاب فى رفق قريب من العنف ، مبينا مالعله يرجى من الخير من هذا الأعمى السائل ، ثم عقد موازنة بين من عنى به النبى ومن أعرض عنه ، فهذا مستغن لا يعنيه أن يصغى الى الدعوة أو يطيعها ، والآخر مقبل تملأ قلبه الخشية ويدفعه الايمان · وقد سجل القرآن معاملة الرسول لهما · ولكن

هذا العتاب يحمل في ثناياه عذر الرسول ، فهو ماتصدى لمن استغنى الا أملا في هدايته وارشاده .

وقد يقسو القرآن في العتـاب ، بعـد أن يكون قد استخدم الرفق واللين وذلك في الأمور التي يترتب على التهاون فيها مايودى بالدعوة ، ومن العتاب القاسي ، لأنه يمس أساسا من أسس نشر الدعوة لتأخذ طريقها الى النصر والنجاح قوله تعالى : « **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتـاب من الله سـبق لمسـكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم** » أما اذا لم يتصل العتاب بمثل ذلك من مهمات الأمور فان العتاب يرق ويلين كما في قوله تعالى : « **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صـدقوا وتعلم الكاذبين** » وقوله « **يأيهـا النبي لم تحرم ما أحل الله لك** » فمعرفة الصادق من الكاذب اذا كانت قد ضاعت في فرصة فمن الممكن أن يتوصل اليها في فرصة أخرى وتحريم النبي لما أحل الله له مسألة شخصية ليس لها من الأثر مثل ما للجهاد من آثار » .

ومن العتاب الالهي قول الله : «**عفا الله عنك لم أذنت لهم** » وقد جاء هذا العتاب في الآيات التي تقول : « **انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله**

لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجـــاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، انما يستأذنك الذين لا يؤمنـــون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ، لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » (١) .

فى صدر هذه الآيات دعوة للنفير الاسلامى وللجهاد فى سبيل تثبيت دعائم الدعوة .. ويصدر البيان الحربى الالهى بالنفرة والجهـــاد « **انفروا خفافا وثقـــالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله** » .

وعندما يدوى نفير النفرة ، آنئذ تظهر النفوس على حقيقتها : فيسرع المؤمن ويتقاعس من فى قلبه دخن أو دخل أو رياء ، وأسقط فى أيدى المنافقين ، ودارت أعينهم دهشة وزمعا ، وأنى لهم أن يستجيبوا ؟ ! انهم يبحثون عن مبرر يتمسحون وراءه ؛ ليبقوا ويقعدوا ، لو كانت الثمرة سهلة هينة لسارعوا الى التقاطها ولكن دونها أهوال وتضحيات ، لو كان سفرا قاصدا قريبا فيه شىء من القسوة وشىء من

---

(١) الآيات من ٤١ ـ ٤٧ من سورة التوبة

التعب لسافروا ولقاموا به ، ولكن الأمر جد مختلف ، انه جهاد وجلاد وحرب وطعان وتقديم أرواح وتضحيات لا قبل للمنافق بها ٠

ونادى الرسول ، وهو يعد العدة لغزوة تبوك : حى على الجهاد ٠٠ وتقـدم المسلمون يلبـــون الدعوة ٠٠ وفى زمرتهم ، تقدم المنافقون ، وهم كعادتهم ، يظهرون الطاعة والامتثال لأمر الله ويحبذون فى حماسة الجهاد والنضال ، الا أنهم فى شىء من الخبث ، وفى كثير من التظاهر والتصنع يعتذرون ويعللون لعدم الاسهام والخوض فى هذه المعركة لاعتبارات أكدوها بالحلف والقسم واليمين الكاذبة ٠٠ ولم يسع الرسول البشر الانسان الا أن يأذن لهم فى التخلف ٠

وينزل الوحى على الرسول ، يقول : « **عفا الله عنك** » وتشرئب النفس وتنتظر ويصيخ السمع ، ويتوجه الانسان بكليته كله سمع مرهف الى مابعد هذا العفو الالهى « لم أذنت لهم » عتاب من الله لرسوله على اذنه لهم قبل التثبت من أعذارهم ، عتاب لا يخلو من لطف المحب بحبيبه عندما قدم العفو قبل العتب فى شأن هؤلاء المنافقين الذين فضحهم الله وكشف موقفهم لنبيه وللمؤمنين وبين أن من سماتهم وصفاتهم أنهم « لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » « ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرقون » ٠

جهاد .. وفتح

الاسلام دين الرحمة والسلام ، دين السماحة والحرية، لا قسر ، ولا جبر ، ولا عنف « **لا اكراه فى الدين** » كفل لكل حرية اختيار عقيدته « **فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر** » اذ العقيدة لا تترسب فى الأعماق الا عن طواعية أو رغبة أو اقتناع ، كل يتنفس الجو العقيدى حسب مشيئته واختياره .

ومهمة الداعية ان يدعو وينصح بطريق سلمي: طريق الحكمة والموعظة الحسنة « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتى هى أحسن** » .

ووضع الاسلام لرسوله مخططه ومنهجه فى الدعوة الذى لا يتعدى الانذار والتبشير والبلاغ : « **ان عليك الا البلاغ** » « **ان أنت الا نذير** » « **فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** » (١) « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به**

(١) آية ٢٠ من سورة آل عمران

شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (١) » ٠

ثم سارت الدعوة الاسلامية فى طريقهـا حاملة لواء السماحة والسلام وحولها اذ ذاك أعداء من كل جهة ، عدو خفى يبطن خلاف ما يظهر ، يتزيى بزى الاسلام ظاهريا ، الا انه يبطن الكفر والاشراك ، يفعل كما يفعل المسلمون ، وهو معهم ، يؤدى شعائرهم ويشاركهم مناسكهم اذا نودى للصلاة كان أسرع المصلين الى تأديتها ، واذا ما هل هلال رمضان أظهر انه أول الصائمين « **واذا لقوا الذين آمنـوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انمـا نحن مستهزئون » (٢) « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو ألد الخصام ، واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيهـا ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفسـاد ، واذا قيـل له اتق الله أخذته العزة بالاثم » (٣) « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » (٤)** ٠

وبجانب هؤلاء اليهود الذين ناوءوا دعوة محمد منذ أول آونة لها ، وحاربوا المسلمين بتآمرهم مع المشركين

---

(١) آية ٦٤ من سورة آل عمران

(٢) آية ١٤ من سورة البقرة

(٣) آية ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ من سورة البقرة

(٤) آية ١٤٢ من سورة النساء

والمنافقين وتحديهم وحجاجهم • وبث بذور الشقاق والتفرقة وايقاد نار التعصب ، ثم فى النهاية تطاولوا على الله !! « **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين** » (١) •

وهؤلاء وأولئك ومعهم المشركون الكل يتكتل ويتجمع ويحيك ويدبر •• الكل يريد أن يمسى ثم يصبح فلا يرى لتلك الدعوة تابعا أو داعيا •

وتآزر المنافقون مع اليهود : « **ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون** » (٢) •

وصيانة للدعوة المحمدية وحماية لها أذن الله للمسلمين فى الجهاد والقتال « ولنذكر (٣) مراحل الدعوة المحمدية من مبدئها الى أن أذن الله بالحرب للسلمين : بدأت الدعوة سرا ، فآمن نفر قليل كانت تجمعهم والنبى صلى الله عليه وسلم وشائج الرحم ، أو الصداقة ، ثم أخذت

---

(١) آية ٦٤ من سورة المائدة

(٢) آية ١١ من سورة الحشر

(٣) صفحة ٥٣٦ من تفسير الشيخ شلتوت

طور الجهر ، فوجهت الى العشيرة الأقربين ، ثم الى الناس أجمعين .. ورآها المشركون تسرى ويكثر معتنقوها فلم يطيقوا عليها صبرا ، فبدءوا بمساومة الرسول واغرائه على ترك دعوته بما يطلب من مال أو جاه أو ملك فكانت كلمته المأثورة : « والله لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فاتجهوا الى العنف والاضطهاد ، وقد دون التاريخ من حوادث التعذيب للمسلمين الأولين ماتقشعر لهوله الجلود ، وما دفع المسلمين الى أن يفكروا فى الخلاص بدينهم ووقاية أنفسهم ودعوتهم ، فهاجروا الى الحبشة مرة ومرة ، والتجئوا الى الطائف ، فلم تنفعهم الهجرة ولم ينقذهم الالتجاء ، واشتد ضغط الكفار عليهم فى الايذاء حتى ائتمروا أخيرا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقرروا فيما بينهم قتله ، فكانت الهجرة الى المدينة ، وبالهجرة أخذت الدعوة تسرى بما تحوى فى طبيعتها من جلال وجمال حتى كونت لنفسها أنصارا من شباب يثرب عاهدوا الرسول على الموت فى سبيل نشرها وحمايتها . وهنا سقط فى أيدى المشركين واشتد عليهم حنقهم على المسلمين وأخذوا يتحينون الفرص للكيد للمهاجرين واخوانهم فى المدينة ويصبون العذاب من جهة أخرى على المؤمنين المستضعفين الذين لم يجدوا سبيلا الى الهجرة من مكة .

هذه مراحل الدعوة ، وهذه مواقف المشركين من

محمد وصحبه ، ولو انهم تركوه يقوم بدعوته فيؤمن بها من يؤمن ويصدف عنها من يصدف ، ولم يعنفوا عليه وعلى متبعيه ، ولم يضيقوا عليهم حتى يخرجوهم من ديارهم ، ويحرموهم من أوطانهم التى شبوا بها وترعرعوا ــ وحب الأوطان لاصــــق بالنفوس ــ ولو لم يحولوا بينهم وبين بيت الله الحرام الذى كان محل تقديس عـــام من العرب وتقديس خاص من المؤمنين ، لو انهم تركوا المســـــلمين وشأنهم هكذا لما أريقت قطرة من دم ، ولانتشرت دعـوة الاسلام بما تحمل فى طبيعتها من قوة ووضوح وجلاء ، وبما تجد من اقبال الطبائع المستقيمة عليها ، ولو أن محمدا صلى الله عليه وسلم قبع بعد الهجرة فى المدينة والأنبـــاء تأتيه بما يدبر له القوم وبما يتربصون به وبأصحابه من الاغارة عليهم فى المدينة ، ومحاولة أن يطاردوهم منها كما طاردوهم من مكة ، لو أنه صلى الله عليه وســـلم قبع فى المدينة ولم تبد منه امارات القوة والحيطة والحذر والتهيؤ لرد العدوان لما استقامت له دعوة ، ولفاجئـــوه فى عقر داره . لم يكن لمحمد عليه السلام والمؤمنين معه بد من أن يقدروا هذه الظروف كلها ، وأن يذكروا المستضعفين فى مكة ، وأن يذكروا أوطـــانهم وأموالهم ، وأن يذكروا أن دعوتهم ، وهى دعوة الحق ــ يجب أن تنشر ، وأن يعودوا بها الى مكة وأن يطهروا بيت الله من الأصنام والاوثان وأن يفسحوا المجال أمام الدعوة حتى تسرى وتعم كمـا أمر الله » .

الاذن بالقتال :

قدر محمد كل هذه الظروف وتكاملت أسباب الحيطة والحذر فأذن الله لهم في الحرب، وجاء الاذن لها في آية تحمل أسبابها « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ـ ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** » .

جاء الاذن في هذه الآية الكريمة بالقتال ولم تعلله بنشر الاسلام أو الجاء الناس اليه ، وانما عللته بما وقع على المسلمين من ظلم وما أكرهوا عليه من الهجرة والخروج من ديارهم من غير حق الا أن يقولوا كلمة الحق ، ثم لا تقف الآية الكريمة عند هذا الحد ، بل يتبين أن هذا الاذن موافق لما تقضى به سنة التدافع بين الحق والباطل حفظا للتوازن ودرءا للطغيان ، وتمكينا لأرباب الخير والصلاح من التمسك بعقائدهم وأداء عباداتهم ، ثم ترشد الى أن الله انما ينصر بمقتضى سنته من ينصره ويتقيه فلا يتخذ الحرب أداة للتخريب والافساد ، ولا يترك عوامل الشهوات والمطامع تخرب وتدمر وانه لا ينصر الا من اذا تمكن فى الأرض قام بحق الله وحق العباد وحق المجتمع .

هذه آية واضحة وهى أول آية نزلت فى القتال ، ليس فيها شائبة من شوائب الاكراه في العقيدة ، وانما هى على العكس تقرر أن الحرب أمر لا بد منه حفظا للنظام وتقليما لأظافر البغى والطغيان ، ولولاها لفسدت الأرض وهدمت فيها أماكن العبادة ، ومن الغريب أن الآية لا تنظر فى هـذا الشأن الى المسلمين خاصـة بل تقول : « لهدمت صوامع وبيع وصلوات » .

« على (١) أن سبحانه حين اذن للمؤمنين فى القتال لم يأذن لهم فيه الا دفاعا عن عقيدتهم ، وحماية لها ممن يعتدى عليها ، وفى حدود الدفاع عن العقيدة وحمايتها ، نزلت آيات القتال والحث عليه فى القرآن الكريم .

فالذين يقـاتلون المؤمنين ، يجب على المؤمنـين أن يقاتلوهم : « **وقاتلوا فى سـبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » .

والذين يخرجون المؤمنين من ديارهم ، يجـب على المؤمنين أن يقـاتلوهم : « **واقتلوهم حيث ثقفتمـوهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** » .

والذين يفتنون المؤمنين عن دينهم ، يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم : « **والفتنة أشد من القتل** » .

والذين يحاولون الوقوف فى سـبيل دعوتهم يجب

---

(١) ص ٢٧٨ من كتاب صور من حياة الرسول

على المؤمنين أن يقاتلوهم : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** » •

والذين يستذلون المستضعفين من المؤمنين يجب على الاقوياء منهم أن يقاتلوا لانقاذهم :

« **ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** » •

والذين يخونون عهود المؤمنين يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم بعد انذارهم : « **واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين** » •

والمبدأ العام فى ذلك قول الله تعالى : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » فمن اعتدى على المسلمين بالقتال فالمسلمون مكلفون أن يقتلوه حيث وجدوه ، ومن أخرجهم من ديارهم فليخرجوه منها كما أخرجهم ، ومن فتنهم عن دينهم أو صد عن سبيلهم فالفتنة أشد من القتل •

فغاية القتال اذن ألا يفتن المسلمون عن دينهم ، وألا يخرجوا من ديارهم، أو يستذلوا فى أوطانهم، وان يعز دين الله ويمتنع على الاذى والفتنة ، وأن يظل سبيله حرا لمن أراد • على أن يكون القتال كله فى سبيل الله ، وأن

تكون غايته اعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وأن تكون تقوى الله في كل حالة هي شعار المؤمنين : « **واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب** » وأن تنتهى الحرب بانتهاء الغرض منها : « **فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » وأن تكون الرغبة فى السلم أول مايحرصـــون عليه اذا بدا لهم من عدوهم رغبة فى السلم ، حتى ولو كان العدو يريد بها خداعا « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله** » .

على أن الجهاد فى الاسلام ، ومقاتلة المعتدين والدفاع بالروح عن حمى العقيدة . ان الجهاد بهذه الكيفية وعلى تلك الحالة يعده الاسلام ، مع كل ذلك ، دفاعا يعتمد على قوة الجسد ورباطة الجأش ولذا سماه جهادا أصغر ، أما الدفاع الذى يقوم على محاربة الرغبـــة الداخلية ومصارعة نوازع النفس ونوازع القلب فذلك هو الجهاد الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من غزوة منتصرا :

« رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ..

قالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس » .

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل(١)

كانت هزيمة المشركين فى «بدر» ذكرى قاسية مريرة يجترها بألم كل من فقد أهله أو أصيب فى عائله ، أو نكب فى أسرته ، كصفوان و « عكرمة » •

ودفعتهم تلك الذكريات الى اعداد حملة تقتص لهم ، وتثأر •

ومن « مكة » انطلقت حملة الثأر ، قوامها ثلاثة آلاف مقاتل ، وعديد من الجنود المرتزقة من البدو الذين اشتركوا فى الحملة طمعا فى الاجر الضخم •

وفى مؤخرة الحملة •• «فرقة نسائية» •• متحمسة على رأسها « هند بنت عتبة » زوج أبى سفيان • لم تكن مهمة نسائها التمريض ، أو بث الحماسة فى النفوس •• انما كانت مهمتهن الاولى سد الطريق فى وجه كل جندى يريد الفرار •

ووصلت أنباء تلك الحملة الى مسامع الرسول والمؤمنين ، وتعارضت الآراء ••

وكان المؤمنون الذين فاتهم شرف الجهاد أو الاستشهاد فى موقعة « بدر » يتمنون تلك اللحظات ، لينعموا بالشهادة ، أو يسعدوا بالنصر ، فنادوا بسرعة اللقاء •

وفريق من المنافقين انبثوا بين الصفوف يعوقون •

---

(١) آية ١٤٤ من سورة آل عمران

ويهمسون فى الآذان بالقعود وعدم الهجوم ، بحجة أن فى جيش المسلمين كله جوادين فحسب ، وعدة المشركين وعددهم أكثر وأعظم ·

وانتظر الصحابة رأى الرسول ·· وأحاطت جموعهم ببيته ، وسرعان ما علموا رأيه حينما خرج عليهم لابسا خوذته متقلدا سيفه ، ممسكا رمحه ، ملقيا بالترس على ظهره ··

واتجه المسلمون صوب جبل «أحد» واعتصموا به · وجعلوه خلف ظهورهم ·· وجعل الرسول على قمة الجبل خمسين راميا من أمهر الرماة بقيادة « عبد الله بن جبير » وأمره أمرا مؤكدا بأن « انضحوا الخيل عنا بالنبل ، واحموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف أن يجيئونا من ورائنا · والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم · وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا · ولا تدفعوا عنا ، وانما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل »

وتقدم المشركون صوب الجبل على هيئة قوس على ميمنته خالد بن الوليد ، وعلى ميسرته، عكرمة بن أبى جهل لمباغتة المسلمين من الخلف ·

وسبقت الموقعة مناوشات من الجانبين ··

ثم كانت المعركة ·· وبدت معها بشائر النصر للمسلمين ··

وترك الرماة أماكنهم بعد انتهـــاء الجولة الاولى فى المعركة ، واندفعوا مخالفين أمر القائد ·· ودفعتهم نشوة الظفر والنصر الى أنألقوا بأنفسهم وراء الغنائم والاسلاب·

وشـــاءت الظروف أن يتغـير وجه المعركة بعد هذه المخالفة ، وأن ينقض المشركون على المسلمين ويباغتوهم ·· وكثر القتلى من المسلمين ·· وتشتتوا ·· وفر البعض الى المدينة ·· وجرح الرسول فى شـــفته · وكسرت بعض أسنانه · واصابه حجر في «مغفره» فانغرست حلقة المغفر فى وجهه ·· وانطلقت شائعة تقول ان محمدا قد مات ·· وان قاتله هو « ابن قمئة الليثى » ··

كمـــا شـــاءت ظروف المعركة كذلك أن تفرق بين الرسول وبين عمر وابى بكر ، وعلى ··

وانطلق « أنسى بن النضر » يردد فى أسىَ ، قتل رسول الله ·· قتل رسول الله ··

وظل يدور على الصـــحابة ويقول : ماذا تصنعون بالحياة من بعده ؟! موتوا على ما مات عليه رسول الله ·· وانطلق الى معسكر الاعداء يقاتل حتى قتل ··

ووصلت الصيحات الى آذان الصـــحابة المتفرقين ، فتجمعوا فى جماعات جابهت المشركين ··

ورأى كعـــب بن مالك جمـــاعة من اخـوانه تدافع وتنافح فى صمود وثبات واصرار ·· ورأى فى هذا الجمع عينين تزهران من تحت المغفر ، وتفرس فى صـــاحبهما ،

فعرفه ‥ فنادى بأعلى صوته : يامعشر المسلمين‥ ابشروا هـذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ‥ والقت البشرى في فلول المسلمين حماسة · ودفعتهم نحو الجهة التى أشار اليها كعب ‥ واتجهوا صوب رسـول الله وقد توقدت حميتهم فشقوا لهم طريقـا فى صفوف أعدائهم ‥ وعلى جثث كثـير منهم وصلوا الى الرسول ، والتفوا حوله ، واستمر القتال فى عنف ‥

وماكان لأمواج الباطل مهما عنفت واشتدت وتلاطمت الا ان تنكسر فى النهاية على صـخرة الحق · والى فترة اليأس التى انتابت المقاتلين المسلمين في هذه المعركة يشير قول الله « وما محمد الا رسول قد خلت من قبـله الرسل افئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ·

والى الصبر المفضى الى النصر ، والى ثبات المقاتلين مع نبيهم يقول الله : « **وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لمـا أصابهم فى سـبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصـابرين ، وما كان قولهم الا ان قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنـا واسرافنـا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين · فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** » ·

نهاية .. وخلود

في حجة الوداع ، وهى الحجة الأخيرة التى حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى أرسى فيها الدعائم وعرض القوانين ، وبين الحلال والحرام ، وأوصى الناس بالتزام الجادة ، وأبان ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

في هذه الحجة نادى في الناس بصوت جهورى كان يردده من بعده « ربيعة بن أمية بن خلف » قال :

« أيها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت..

فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وان كل ربا موضوع (أى مهدر) ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ..

قضى الله أنه لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

أما بعد أيها الناس :

فان اليشطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا · ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ·

أيها الناس · انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله · وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا · منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان · أما بعد أيها الناس ، فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه · وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فأن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله · فاعقلوا أيها الناس قولى ، فاني قد بلغت وتركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة رسوله ·

أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه : تعلمن ان كل

مسلم أخ للمسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم .. اللهم هل بلغت ؟

إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هـذا اللهم قد بلغت : اللهم اشهد ، ونزل على رسول الله وهو واقف بعرفة قوله تعالى :

« **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١) اليوم : بعد أن أرسيت دعائم الاسلام فى أرض العقيدة المتينة المكينة ..

وبعد أن أقام محمد البناء العقيدى ، ودعا اليه كاشفا روعته وسلامة نظمه ..

وبعد أن انتشرت دعوة الاسلام فى الارض فأضاءت أرجاء وقلوبا ..

وبعد أن خنست دعوة الباطل ودالت دولة الشرك ودوت صيحة الحق ..

اليوم أكملت لكم ، لكم أنتم يا أمة محمد ، بمحمد ، وبما نزل على محمد أكملت لكم دينكم فغدا الدين الكامل المتكامل ، والعقيدة التامة العامة .. وعقائد غيركم مشوهة محرفة ، أو ناقصة قاصرة أو خاصة مقصورة .

أما دينكم الاسلام فهو دين عام خالد ، دين الله دين الحق « ان الدين عند الله الاسلام » والاسلام نعمة أنعم الله

---

(١) من آية ٣ من سورة المائدة

بها على المؤمنين به ومنة امتن بها على معتنقى هذه الشريعة التى أتمها بمحمد ، وختمها برسالته • ورضيها ، لكمالها وتمامها وصحتها وسلامتها ، رضيها لنا معشر المسلمين دنيا لعقيدتنا ودينا لنا •

اليوم كمل الدين ، وتمت كلمة الله ، وانتهت مهمة رسول الله •

ولما نزلت تلك الآية السالفة رأى فيها البعض دلائل واشارات ، رأوا فيها حياة الدعوة المحمدية وقرب انقضاء حياة الداعية محمد عليه السلام ، رأوا فيها بقاء الرسالة وذهاب الرسول ، فحزنوا ، بيد أنهم لم يكونوا يطلبون لمحمد الخلود ، انما كانوا يريدون له طول البقاء بين ظهرانيهم اذ هم مؤمنون بماحكم به الله عليه وعليهم «انك ميت وانهم ميتون » •

خاتمة :

وقد اشتدت خشية المسلمين على رسولهم عندما قال أبو مويهبة (مولى رسول الله) : بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوف ليلة من ليالى صفر فقال : يا أبا مويهبة، انى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين مقابر المسلمين قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه ؟ أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الأخيرة شر من الأولى ••

ثم استغفر لهم وقال : يا أبا مويهبة انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة ، قال أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى!! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال محمد : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة •

وشكى النبى المرض منذ تلك الليلة التى زار فيها البقيع • وأصبح فى الغداة فوجد عائشة تشكو صداعا •• وتقول عائشة : « لما رجع رسول الله من البقيع ، وجدنى ــ غداة تلك الليلة ــ وأنا أجد صداعا فى رأسى وأقول : وارأساه فقال ، وقد بدأ يحس ألم المرض : « بل أنا ياعائشة والله وارأساه ، ثم قال : وما يضرك لو مت قبلى فقمت عليك • وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟! » وكأنى بعائشة ــ رضوان الله عليها ــ لم تحتمل تلك المداعبة النبوية اذ غلبت عليها طبيعتها كأنثى ، وأنثى لها ضرائر ، فقالت : ليكن ذلك حظ غيرى والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك » وتبسم رسول الله على الرغم مما به من ألم •

وكانت نوبات المرض تشتد عليه يوما اثر يوم ، كما كانت تتخللها سويعات من الصحو والنشاط والقوة وكانت عادة الرسول أن يقسم لياليه بين بيوت زوجاته ، وبينما هو فى بيت « ميمونة » عاودته آلام المرض فدعا بزوجاته واستأذنهن فى أن يمرض ببيت عائشة فأذن له ، قالت عائشة : « فخرج رسول الله من بيت ميمونة بين الفضل

وعلى ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه حتى دخل بيتى » ..

وظل أياما عدة لا يزيد على الصـــلاة ولا يقوى على محادثة أصحابه .. الى أن عاودته نوبة من نوبات النشاط والصحو ، فلبس ثيابه وعصب رأسه . وخرج من باب عائشـــة المطل على المسـجد ، فصـعد المنبر وألقى خطبته المشهورة التى طلب فيها الى كل من آذاه أن ينتقم منه ثم قال : « ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعند الله » فبكى أبو بكر وقال : « بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال رسول الله : على رسلك يا أبا بكر ، لا تبك » .

وأضـــنته الحمى ، وعادته ابنته فاطمة فقال لهـــا ، مرحبا بابنتى ؛ ثم أجلسها الى جانبه وأسر فى أذنها حديثا فبكت ، ثم أسر لها حديثا آخر فضحكت ، فسألتها عائشة فى ذلك ، فقالت : ما كنت لأفشى سرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مات الرسول ذكرت أنه أسر لى أنه سيقبض فى مرضه هذا فبكت ثم أسر لها أنها أول من يلحق به من أهله .

قالت عائشة : « رجع الى رسول الله فى ذلك اليوم حين دخل المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل رجل من آل أبى بكر وفى يده سواك أخضر ، فنظر رسول الله اليه فى يده نظرا عرفت أنه يريده ، فقلت : يارسول الله . أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ فقال : نعم ، فأخذته حتى

لينته ثم أعطيته اياه ، فاستن به كأشـــد مارأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه ٠ ووجدت رسول الله يثقل فى حجرى فذهبت أنظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » فقلت : خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق !! وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاته فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة ٠

يقول البيهقى (١) : « لما كفن رسول الله عليه وسلم ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر فقالا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، اللهم انا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل اليه ، ونصح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله به دينه ؛ وتمت كلمـــاته فأومن به وحده لا شريك له ٠ فاجعلنا يا الهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا وتعرفه بنا ؛ فانه كان بالمؤمنين رءوفا رحيما » ٠

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » (٢) ٠



(١) نهاية الارب جـ ١٨
(٢) آية ١٢٨ من سورة التوبة

المكتبة الثقافية

أول مجموعة من نوعها
تحقق اشتراكية الثقافة
تيسر لكل قارئ أن يقيم
فى بيته مكتبة جامعة
تحوى جميع ألوان المعرفة
بأقلام أساتذة ومتخصصين

●

العدد القادم

الهكسوس

بقلم
محمد العزب موسى

طبع بمطابع الدار



محمود بن الشريف :

● تخرج من جامعة الأزهر وحصل على شهادة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٧ .

● ظهر له من الكتب الأدبية والعقائدية : رواد خالدون ـ فدائيات اسلاميات ـ بدر الغزوة الأولى ـ أدب محمود تيمور للح... والتاريخ ... شوقى و... والجنسية ... وحديثا ... مصرى .

● منحته جا... درجة الماجـ... لكتبه الا...

● يشغل حا... الشباب ا... العربى .